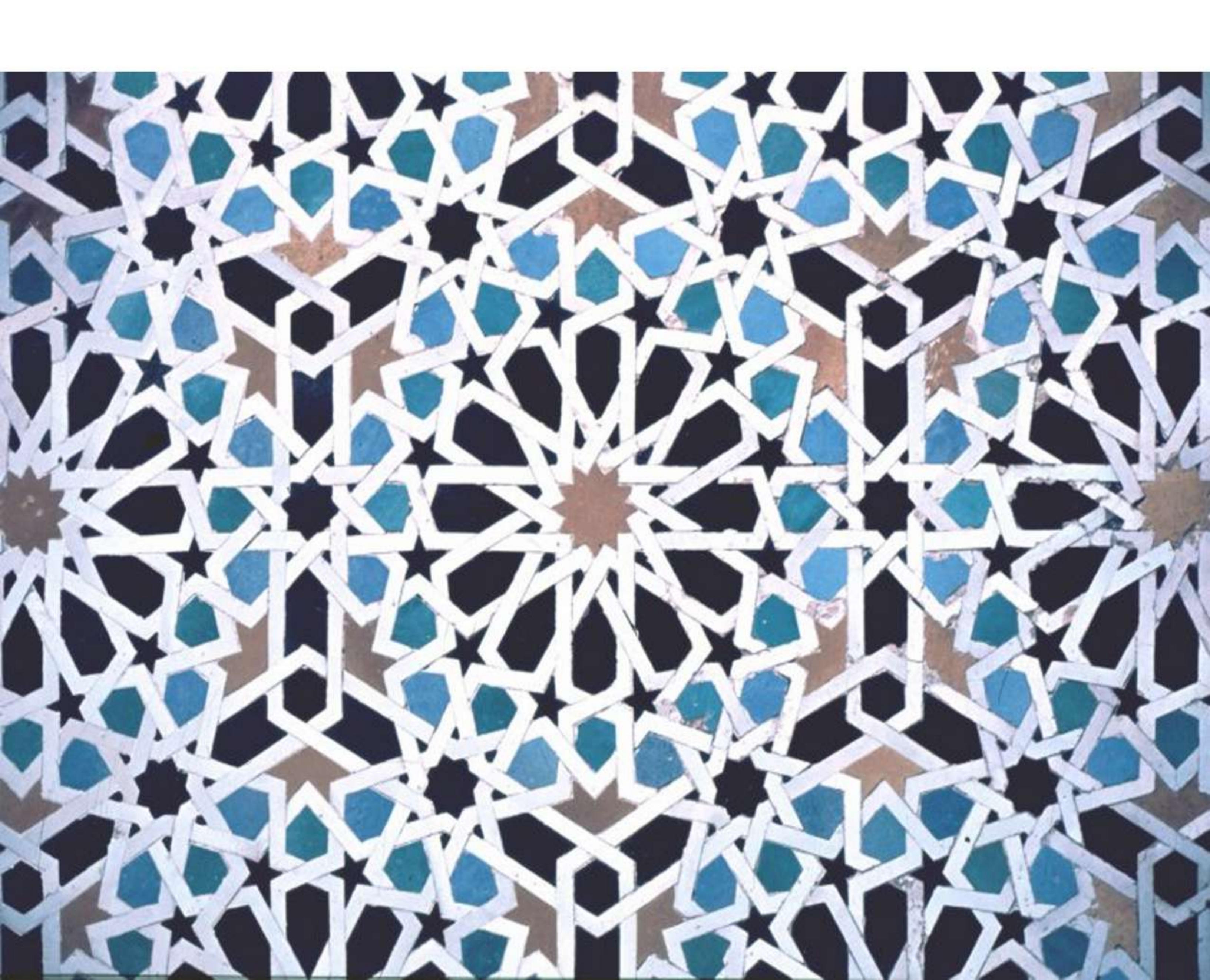
جرائم ارتكبتها
عندما كنت حارسا لدين الله

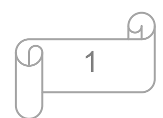
حسنين السراج



جرائم أرتكبتها

حين كنت حارسا لدين الله

حسنين السراج



الفهرست

الأهداء

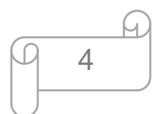
الى كل أنسان سلبت أرادته وجرحت مشاعره وتعرض للتحقير أوللأهانة أوللتعذيب أوللقتل لا لشيء سوى لأنه الاخر الذي يرمز للشر في عيون محتكري الحقيقة .

المقدمة

هذا الكتاب رحلة عصيبة من عالم التطرف وأحتكار الحقيقة وألغاء الاخر الى عالم الواقعية وقبول الاخر وتفهمه . من عالم الحقيقة الواحدة الى عالم الحقائق المتعددة . هو وصف وترجمة للمونولوج الداخلي للأنسان المتطرف الذي يحتكر الحقيقة لنفسه ويلغي الاخر بشتى الوسائل . هو تفسير للغاية والوسيلة والية التفكير والسبب والنتيجة في عالم أستغلال الدين وأمتطائه. نفي الأديان أو أثباتها ليس ضمن اهتماماتي . لا أدافع عن الأديان ولا أشكك بها وذلك لاني أؤمن بحق كل أنسان في اعتناق أي فكر وأي دين وكل الأديان والفلسفات حقيقة في عقول وقلوب معتنقيها وليست كذلك في عقول وقلوب اخرين . ما يستفزني ويدعوني الى التأمل والتفكير هو (الاخر) ومدى قبوله وتفهمه.

قد أقف على قمة جبل وأنا مطمئن النفس وقد يقف غيري في مكاني وهو خائف يرتعب لأنه الاخر وليس أنا ، أنا موجود والاخر موجود وكلانا نمثل حقيقة موجودة على ارض الواقع . كل شيء في تغير مستمر ولا يوجد ثابت الا المتغير نفسه . وكل شيء نسبي وحتى بعض الأخلاقيات تعتبر نسبية في عرف المجتمعات فهناك سلوكيات تعتبر غير أخلاقية في مجتمع و تعتبر مقبولة وأخلاقية في مجتمع اخر .

كل دين يمثل حقيقة مطلقة في عقول وقلوب معتنقيه ولا يعد كذلك في عقول وقلوب الاخرين . النظريات العلمية غير ثابتة وبين فترة وأخرى تظهر نظرية تدحض النظرية التي سبقتها وتحولها من نظرية علمية الى ماضي عفى عنه الزمن . مجتمعات متعددة ومختلفة الانتماء تحوي

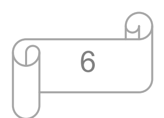


مليارات البشر لكل مجتمع أنتماء مختلف عن الاخر ولكل مجتمع نمط حياة مختلف عن الاخر .

الحياة قصيرة وأمر مؤسف ان نهدر وقتنا القصير في هذه الحياة ونحن نمجد أنفسنا ونعظمها بسبب وبدون سبب ونحط من قدر الاخرين ونسقطهم بسبب وبدون سبب . الدين الذي نعتنقه هو حقيقة مطلقة في عقولنا وقلوبنا وهكذا يرى الاخرين دينهم أو معتقدهم فهو حقيقة مطلقة في عقولهم وقلوبهم أيضا . قبول الاخر وتفهمه وألتماس العذر له أجمل لغة نقضي بها أيامنا القصيرة في هذه الحياة طالما أن الاخر لا يعتدي على حريات الاخرين الشخصية ولا يجرح مشاعرهم ولا يسلب أرادتهم.

-1-

جرائم أرتكبتها حين كنت حارسا لدين الله



حقيقة الله

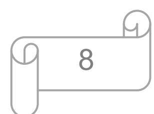
كثيرا ما يفكر الأنسان في معضلة الوجود وفي ذات الله العليا ، غالبا ما يكون مسار تفكيره كروي يتجه بأتجاه واحد يعود الى نفس النقطة التي بدأ منها ، بعد معاناة وأستدلالات وبحث معمق في النهاية قد يصل الى نتائج تثبت وجود الله وقد يصل الى نتائج تنفي وجوده وقد يبقى في مرحلة الشك الى نهاية عمره ، أخبرني أحد أصدقائي مرة أنه قرأ أكثر من 200 كتاب وفي النهاية وصل الى أن عليه أن يسلم أن هناك اله لأنه لم يصل الى يقين مطلق .

جلسنا أنا وهذا الصديق في لقاء عابر لم نرتب له مسبقا نتحدث حول اللغز الكبير وحقيقة الوجود في حوار قل نظيره بالنسبة لي فكل منا كان يناقش ما يطرحه الاخر بشكل حقيقي دون البحث عن جواب مضاد يفحم به الاخر ، كان كلا منا يحاول فهم الاخر ، وكان لتدخيننا نفس النوع من السكائر أثر كبير في أيجاد مشتركات ، فقد يكون هذا المشترك الشاخص (نوع السكائر) أثر في تحفيزنا على أكتشاف المشتركات بسرعة اكبر ، بدأ الحوار بالاديان وأنتهى بالفيزياء والفلك مرورا بالفلسفة ، حلاوة الحوار المجرد من أي أنتماء طغت على الغاية من الحوار ، فنادرا ما أجد نفسي في لحظات تجرد كامل ، من الصعوبة أن يجرد الانسان نفسه من أنتمائه ويصل الى أقصى درجات الموضوعية وهو يناقش موضوع مهم الى أقصى درجات الاهمية كحقيقة الوجود . مع أننا كنا مختلفين في تفسير الكثير من الأمور الا أن النقاش لم يخلو من لذة تبادل المعلومات و أكثر ما أثار أنتباهي هو ثبات ميوله الفكرية وتفسيراته من الطفولة الى اللحظة التي كنا نتحدث فيها . فحتى بعد أن أطلع على الكثير من الأفكار لم تتغير ميوله الفكرية كثيرا .

في طفولتي كنت كثير التفكير في ذات الله وغالبا ما كانت تدور في رأسي أسئلة كثيرة ليس لها جواب أو ليس لها جواب مقنع وبعضها لم أجد له جواب لحد الان . كان أنطباعي عن الله أيجابي جدا يمنحني شعور بالأمان والراحة . مخيلتي وأنا أبن السادسة كانت تذهب الى أن الله بهيئة رجل في الستين من عمره يجلس فوق السماء بوجه مبتسم وينظر الى الناس نظرة حب ومنها يشع كل شيء جميل في الحياة .

أتذكر كان التلفاز يعرض تلاوة القران قبل فترة برامج الاطفال وكانت غالبا بصوت القاريء صاحب الصوت الأخاذ والذي يجعل الأنسان يستمع بروحه قبل أذنه عبد الباسط عبد الصمد ، سألت اهلي عن القران ما هو وعن ماذا يتحدث ؟ فقالوا لي أن القران كلام الله فتصورت أن صوت القاريء عبد الباسط عبد الصمد هو صوت الله . فأنبوني بشدة على تصوري هذا ، تصورات ساذجة وبسيطة داعبت خيال من رفع عنه القلم ، حين صرحت بما أعتقد وأكتشفت اني لو لم أستغفر وأتوب سيعاقبني الله وسيفعل بي أمور فضيعة أقلها الشوي بالنار ! ليس حبا في أيذائي بل لتأديبي كما قيل لي ، شعرت بخيبة أمل وحزن شديد وخرجت من حالة الأطمئنان الشديد الى حالة الذعر والخوف ، أصبحت صورة الله في ذهني مشوشة فلم أعد أتخيله مبتسم ، وبدأت أرسم في عقلي سجن أفتراضي يحوي انواع العذاب من سلخ للجلد الى حرق بالنار الى تعليق الأجساد من جفون العين الى قطع الألسن الى كوي الأيدي والأرجل بالحديد الساخن ، في جهنم الموجودة في عقلي لم أبقي أحد أعرفه الا وتخيلته يتعذب ! الكاذب مصيره النار ، فلو كذب أحد زملائي في المدرسة كان لزاما مني كطفل يملك خيال جامح أن اتخيل كيف سيعذب!

كنت أعتقد أن النبي محمد حي يرزق ! وكيف لي أن أعلم أنه ميت ؟ وقع في يدي كتاب ديني وبدأت أتصفحه وكان يتحدث عن سيرة النبي محمد وكنت أقرأ العناوين فقط فوصلت في نهاية الكتاب وفصله الأخير الى عنوان (وفاة النبي محمد) وكانت هذه اول مرة أعرف بها ان النبي محمد

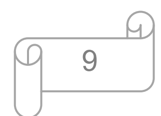


ميت فبدات أبكي عليه بشدة وحرقة مما أثار أنتباه جدتي فقالت لي ما الذي يبكيك فقلت لها متى توفي النبي محمد ؟ فقالت لي منذ فترة بعيدة جدا ففهمت جدتي من حالي الألتباس الذي وقعت فيه وأبتسمت وواستنني على المصيبة المتفردة فكنت اخر من يعلم على الأطلاق بخبر وفاة النبي محمد .

سالت خالتي مرة من يسمع كلامي حين أتحدث مع نفسي ؟ فقالت لي الله سبحانه وتعالى يسمعك فقلت لها وهل يسمعني النبي محمد والسيد الرئيس ؟ فأجابتني بالنفي وفي قلبها ألم شديد لأني جمعت صدام حسين مع النبي محمد في نفس المنزلة ، في الواقع كنت أعتقد ان صدام حسين منصب من الله رئيسا على العراق وما هو الا أمتداد للانبياء والصالحين وهذا الانطباع لم يأتي عبثا فدور الاعلام والمدرسة كان كفيلا بجعل صدام نبيا أو أكثر من ذلك !

كانت صورة صدام حسين في أذهان الاطفال تدور في أطار المقدس ولا تحيد عنه ، كنا بحاجة الى بضع سنين لنصل الى مرحلة ندرك فيها حقيقة ما يجري وحقيقة خوف اهلنا من فلتتات لساننا خارج المنزل حين نسمعهم ينتقدون الحكومة ، حين يفكر الانسان في سر الوجود وفي ذات الله خصوصا حين يكون في بلد شمولي كثيرا ما يصطدم بصور جانبية تقحم نفسها لتجعل نهاية هذا البحث سريعة ونتيجته معروفة ، (لاتفكر كي لا تكفر).

لغة الخوف هي المتسيدة وهي الأقوى . أعتقد أني لو كنت باقيا على مخيلتي الساذجة في تخيل الله بهيئة رجل مبتسم تلك المخيلة التي تسير في اطار الحب المتبادل الذي يوصل الأنسان الى مرحلة التأمل لتوصلت لنتائج أيجابية ، لكن دخولي في اطار الخوف والرعب وسلخ الجلد وقطع الألسن جعل لغة الخوف هي اللغة الوحيدة في تفسير سر الوجود وحقيقة الله .



يقول المفكر السعودي عبد الله القصيمي :

لقد وجدت كلمة الله في لغة الأنسان كما وجدت لفظة اه . (1)

من الأمور التي صدمت بها لاحقا هو ان ما أدرسه في المدرسة عن الدين يختلف عن أعتقاد أهلي الديني (من حيث العقائد والفقه والتاريخ) فاهلي شيعة والشيعة ليس لهم أي أعتبار يذكر في أعداد المناهج وفي هيكل الدولة بشكل عام ألا في بعض الحالات النادرة.

هذه الأزدواجية وضعتني في مأزق نفسي . فما أتعلمه في المدرسة يناقض ما يعتقده المجتمع الذي أنتمي أليه . كانت معاناة كبيرة . لكني لم أعطي أهمية كبيرة للأنتماء المذهبي . وبمرور الزمن تبلورت عندي فكرة هجينة بين ما أدرسة في المدرسة وبين ما ورثته من اهلي . هي فكرة ليس لها أساس ألا في عقلي . (أحب الجميع وانتمي للجميع).

في درس الرسم هذا الدرس الجميل المليء بالخيال والرومانسية كان يطلب منا أن نرسم دبابة وأن نرسم أشلاء ممزقة وناخذ درجة كاملة حين نرسم الجندي العراقي واقف على تل من جثث الجنود الأيرانيين . هكذا وظفوا خيالنا وهكذا علمونا . القتل على الورق كان شيء نمارسه بشكل شبه يومي . مواليد جيل السبعينات من العراقيين يعلمون جيدا عن ماذا أتحدث ويعلمون عمق المعاناة النفسية التي ولدتها هذه المرحلة من حياتنا.

يد الله الضاربة

حين أصبح عمري أثنا عشر عاما كان أنتمائي الأسلامي في أقوى حالاته . كنت أصلي في الجامع والنكتة أني كنت أصلي صلاة الشيعة في جامع سلفي . الواقع حين أتذكر تلك الايام أشعر بأني كنت على قدر عالي من الشجاعة . أقمت علاقات مع المصلين في هذا الجامع . كانوا يعاملوني بلطف . وسوء أدب في نفس الوقت . فطريقة تعاملهم معي كانت رقيقة لكن لم يكونوا يعطون أي أهمية لمشاعري حين يتحدثون عن مراجع الشيعة بكلام جارح . بعد فترة من الزمن أكتشفت أن من تعرفت عليهم وجالستهم في حلقات النقاش داخل الجامع . هم عبارة عن مجموعة من الأشخاص المثيرين للاشمئزاز بشكل لا يحتمل . فحين كانوا يجتمعون قبل الصلاة . يهتمون كثيرا في السخرية من المصلين . كانت صدمة كبيرة لي فكان الجميع يعتبرهم قدوة لهم كونهم أول الحاضرين واخر المغادرين . حين سالتهم لماذا تسخرون من المصلين أليس هذا الفعل محرم؟ أستهزء بي أحدهم وضحك معه الجميع . بعد هذا الموقف بفترة تركت الصلاة في الجامع . لكن للامانة هؤلاء هم الوحيدين الذين أحتككت بهم عن قرب . والبقية كان ظاهرهم الطيبة والصدق .

وبعد فترة تركت الصلاة من الأساس . كنت متلهفا لممارسة الحياة أستغللت كل الفرص المتاحة للشعور بجمال الحياة وتذوق طعمها . ومع أني تركت الصلاة ألا أني في تلك الفترة كنت لا أزال منتميا للفكر الديني بشكل كبير فكنت أصنف نفسي على أني (فاسق أو منحرف). حين بلغت السادسة عشر عدت الى أحضان الدين وعانقت العبادات مرة أخرى وبشكل أكثر قوة . أنها توبة نصوح هكذا أسميتها في حينها .

لم تكن العودة الى أحضان الدين بشكل مفاجيء(بين ليلة وضحاها) أمر أعتيادي . فكانت عودة مصحوبة بقراءة وأختلاط أوسع بأشخاص متدينين من المذهبين . أصبحت كلمة الأسلام بالنسبة لي قضية كبرى بل قضيتي الوحيدة . نشر الدين والدعوة الى الألتزام بالعبادات كان شغلي الشاغل . كان رد فعلي حين يستمع أحدهم الى أغنية في التلفاز أن اقوم الى التلفاز وأغير القناة (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده) فعلت هذا الفعل مرة مع أحد الضيوف في بيتنا فقام من مكانه وغادر منزعجا مع أني كنت قبل أشهر احضر حفلات في فنادق الدرجة الاولى حتى الصباح ! لا يمكن تفسير تصرفي مع الضيف الذي أستمع الى أغنية الا أنعدام أخلاق سافر وتصرف يدل على وضاعة خصوصا أن من فعله كان يحضر حفلات الطرب حتى الصباح قبل أشهر! كان لدي أصدقاء لا يصلون بحكم توجهاتي السابقة . كنت اقول لهم أنتم لستم مسلمين انتم كفار . وحين سالوني عن الدليل قلت لهم بكل وقاحة وتبجح (تارك الصلاة كافر) . بدأ أصدقائي الغير ملتزمين ينفرون مني بل حتى بعض الملتزمين وجدوني لا أستحق التواجد بينهم . وهم محقين تماما في هذا .

يقول الكاتب حسن أبراهيم أحمد :

ليس أسهل عند المؤمن من وصم مخالفه بالرأي بالكفر والزندقة ، ولأسباب لا تتطلب حتى ما هو ادنى من ذلك ، واحكامهم هذه تتسم بالتأبيد وتبتعد عن المرحلية وتكون معبرا ومبررا لكل الشناعات التي أرتكبت وترتكب بحق الاخر المخالف بالرأي . والمؤمن مضطرا بل من صلب عقيدته أن يتهم مخالفيه أنهم ليسوا على الطريق الصواب ... الجماهير المؤمنة كثيرا ما تصادق على الأحكام الصادرة على المخالفين لمفاهيم أيمانهم ولقواعد هذا الأيمان ، كما يصور ذلك المشرفون على

حماية الجماعة من الفساد ، أما السكوت وعدم الاحتجاج فيفسر موافقة على الأحكام . (2)

أصبحت علاقتي بالأصدقاء الجدد (المتدينين) تزداد قوة ومتانة . والحقيقة أنهم كانوا يرسخون في ذهني اني على حق في تصرفاتي المنحطة مع أصدقائي . والدليل (أكثرهم للحق كارهون) . أصبح الانفعال جزء من شخصيتي . مشاهدة سيدة غير محجبة يثير أشمئزازي . والأستماع الى أغنية يجعلني مضطربا . كنت أنظر بفخر منقطع النظير الى (أحتلال المسلمين لأسبانيا) والذي كنت اسميه (فتح الاندلس) . حدث مرة أنفجار في أسرائيل وكان بين القتلى طفل رضيع . فقلت (ليذهب الى الجحيم لو قدر له أن يكبر سيكون مجرما) . حين بزغ نجم حركة طالبان . تعاطفت معها دون أن أعلم عنها أي شيء . فقال لي أحد الاشخاص بعد أن سمعني أتحدث عن حركة طالبان بمحبة (هل تعلم ان طالبان قتلوا الاف الشيعة بسبب أنتمائهم المذهبي ؟) فقلت له : (يحدث ان يختلف أخوين في عائلة واحدة ما المشكلة هذه مشكلة داخلية في الجسم الاسلامي الواحد). بعد فترة من الزمن حدثت أحداث الحادي عشر من سبتمبر . فكنت من المتعاطفين بل من المتشفين بموت الأبرياء . كنت اقول في نفسي التفسير المنطقي التالي :(بوش مجرم . وبوش أنتخبه الشعب . أذن الشعب مجرم) وحين أصف هذا التفسير بالمنطقي لا يعني أنه تفسير جيد فأستخدام المنطق في غير محله هو أحد أسباب أستفحال الظلم والقسوة واللاعقلانية في هذا العالم .

يقول الدكتور مصطفى حجازي :

أن طغيان الانفعالات يضع الأنسان (المتخلف) أمام الحاجة الملحة للتخلص من ضغطها وما تخلقه من توتر داخلي صعب الأحتمال . ومن المعروف نفسيا أن أكثر الوسائل فعالية وبدائية للتخلص من هذا التوتر

هو الأسقاط (projection) الذي سمح بتصريف الأنفعالات من خلال صبها على الخارج ، على العالم وظواهره وعلى الأشخاص والعلاقات معهم سواء بسواء ... وهكذا ينجرف في دوامة الأنفعال النشط (العدوان والأقدام) أو الفاتر (المعاناة واجترار الالام الوجودية)... نتج عن هذه الحالة عدة ظواهر في العالم النامي ، أبرزها سرعة تدهور الحوار العقلاني والتفكير المنطقي ، والتعصب والتحيز وسرعة أطلاق الأحكام القطعية والأحكام المسبقة ... أحكام الأنسان المتخلف على الظواهر والأشخاص يشوبها الكثير من التحيز والقطعية . أنها أحكام متسرعة ونهائية تصنف الظواهر والناس في فئات جامدة ، سالبة كلها أو ايجابية كلها ، أو هي متأثرة الى حد كبير بالأفكار المسبقة والاراء الشائعة التي يطغي عليها التعصب . لذلك أن طغيان الانفعالات . بألغائها لوظيفة النقد العقلي تفتح الباب واسعا أمام بروز الميول الاختزالية ، التي تحول الاخر من حالته كشخص الى مجرد اسطورة تلعب دور السند المادي للأسقاطات الذاتية على الخارج . يتحول الاخر الى مجرد رمز للسوء ، او للشر أو التعطيل أو الخطر أو الضعف أو العنف ، أو الحب والعون ، ألخ .. ومنذ تلك اللحظة يتحدد التعامل معه والموقف منه أنطلاقا من دلالة الرمز الذي أعطي له ، الذي يستخدم أصلا ، كتبرير مادي للانفعال الذي أرتبط به ، سلبا أو أيجابا .(3)

كنت أتعامل مع الاخر على أنه رمز للشر ورمز لعداوة الله . أما المسلم الملتزم خصوصا فهو رمز للخير ولمحبة الله . كنت أتعامل مع المخالفين لي في مجتمعي بتكبر واحتقار فانا الأعلى لأني من أحباء الله وهم الادنى لأنهم من اعداء الله ، لم أكن ابالي بمشاعرهم ورغباتهم لأنهم بأختصار مجرد رموز للشر يجب دفعهم للايمان بشتى الوسائل . لم أكن أهتم لردود فعلهم فكل شيء كنت أفعله تقربا لله . فقد فعلت ما أراده الله وهذا بحد ذاته فضيلة تجعلني من أحباء الله وأصفيائه . أما عن الاخر غير المسلم فهو بأختصار (عدو الله) . من الامور المثيرة للاهتمام اني كنت

أعتقد ان غير المسلمين لديهم يقين بصحة الدين الأسلامي ألا أنهم يريدون محاربته بشتى الوسائل لأنهم أختاروا طريق الشر ولا يريدون أنتشار الخير .

حين كنت أشاهد مناظر الموت في التلفاز لمدنيين تناثرت أجسادهم أثر تفجير أنتحاري . كنت أشعر بفخر وراحة . لان عيني كانت تراهم أعداء الله والسبب الرئيسي لكل معاناتي ومعاناة مجتمعي . فلم تكن العاطفة تحضر ألا ما ندر والحالات النادرة التي أتعاطف فيها مع الضحايا كنت اقول فورا : (هذا ما جنيتوه على أنفسكم) .

يمكنني أن أصف نفسي في تلك المرحلة (بالوضاعة والتخلف والسقوط والأنحطاط والبشاعة والسادية والبدائية وكل وصف سيء في قاموس اللغة العربية) الواقع أني لم أكن أكثر من شيء مشوه دخل في جسد أنسان عن طريق الصدفة . كنت مجرما بأمتياز . نعم الان أحكم على نفسي حين كنت بتلك العقلية المنحطة بأني كنت مجرم مع أني لم أؤذي بشر بيدي ألا أن مجرد تعاطفي مع مجرمين قتلة ومجرد تفكيري بأني أمتلك الحقيقة وغيري يمتلك السراب يعتبر جريمة من الطراز الرفيع . بأختصار كنت أرى نفسي سكرتيرا للأله وناطقا رسميا بأسمه والمحبط أن الدنيا ملأى بهذا النموذج الذي يسمح لنفسه بأتخاذ قرارات بأسم الله ونيابة عنه .

كلمة السر

لم أكن أميل للعنف في حياتي اليومية فمنذ الصغر وأنا أحاول تجنب العنف جهد الامكان . وحتى حين كنت أضطر للدفاع عن نفسي في مشاجرات المدرسة وكنت أبكي كثيرا على من يتألم بسببي . ولا زالت بعض لحظات العنف الطفولي ضد اخرين تبكيني عليهم لحد الان سواء كان عنف أستخدمت فيه اليد أو الكلام . ولا أذكر هذا من باب أضافة فضيلة لنفسي ، فأنا لا أعتبره فضيلة بل أعتبره صفة ملازمة لشخصيتي لا يمكنني التخلص منها وهي الصفة السحرية وكلمة السر التي تمليء حياة من يتصف بها بمقدار هائل من الألم يوازيه مقدار هائل من الحب والحنو والشفقة والشعور بالاخر . في ظني أن الشعور بمعاناة الاخرين حالة تولد مع الانسان من الصعب أن يكتسبها شخص لا يتصف بها ومن الصعب أن يتخلص منها من يتصف بها . وفي كثير من الاحيان تجعل الانسان أكثر مرونة في تقبل الاخر وتفهمه .

كنا نتناقش في بعض المسائل الفقهية فقال لي أحدهم : (يجوز النظر لزوجات الكفار نظرة شهوة) فشعرت حينها برغبة شديدة بالبكاء . لوصولي لحقيقة ان الألتزام الاخلاقي الذي يدعيه بعض هؤلاء لا يعدو كونه نزوة منحرفة مختنقة في عبائة الأيمان . في ذلك الوقت كنت في منتصف الدراسة الجامعية . بدأت أعيد النظر في كل شيء . لم يعد منظر أرتطام الطائرة بالبرج يثير في نفسي نشوة الأنتصار . بدأت أتألم لأجل الضحايا وأشعر بحرقة كبيرة بسبب تعاطفي مع مرتكبي هذه الجريمة . الشعور بالذنب أخذ من وقتي الكثير ولا زال . كان الزمن كفيل في أزالة معظم رواسب السقوط الفكري الذي كنت أمتلكه أو كان يمتلكني . الأنفتاح والقراءة كان لها دور كبير في أيصالي الى قناعة أن الاسلام دين من الاديان وفكرة من الأفكار والحقيقة يدعي الجميع أمتلاكها وليست حكرا على المسلمين . الأسلام حقيقة ساكنة في قلوبنا نحن المسلمين وأذا أردنا من الاخرين أحترام ديننا وعقيدتنا فعلينا أحترام

عقائدهم مهما كانت لأنها ساكنة في قلوبهم وعقلوهم كما ان الأسلام ساكن في قلوبنا وعقولنا . طويت صفحة مريرة من صفحات حياتي أفضل ما فيها أني لم أفكر في أيذاء أحد جسديا . وأسوء ما فيها أني قمت بأيذاء بعض الأشخاص نفسيا وكنت أبرر أيذاء الاخرين بحجة حماية الدين . أقولها بصدق لايمكن أن اصف تلك المرحلة من حياتي ألا بالوضاعة والدونية والخسة .

قرب نهر دجلة

قد يكون لقرب نهر دجلة من مدينتي أثر في نفسي وذكرياتي معه كثيرة فكثيرا ما كنا نجلس و نتسامر قرب النهر ونتحدث في كثير من المواضيع وكنا جميعا في عمر متقارب ، أتذكر مرة كان الحديث عن فتوى دينية غريبة لا يتقبلها العقل ، فقال أحدهم بشكل مفاجيء (ماذا لو كان كل شيء كذب في كذب) أنفجر الجميع بضحك متواصل وكأنه أعطى أمر بتجاوز المقدس فبدأ الجميع يتحدث عن ماذا سيفعل لو ثبت له أن الأديان من صنع الأنسان ، في الواقع كل هذا الحديث كان يدور بأطار المزاح لكنه كان فرصة مناسبة ونادرة للتعرف على أفكار الاخرين في موضوع قل الحديث عنه بهذه الصراحة ، كل منا حين كان يكمل حديثه الذي يبين فيه ماذا سيعمل لو ثبت له عدم صحة الأديان كان يختمه بعبارة (أستغفر الله العظيم) فقد كانت الأباحية والتحرر الجنسي هي أغلب ما دار عنه الحديث ، وما أن وصلنا الى بيوتنا حتى عدنا ركعا سجدا قلوبنا عامرة بالأيمان !

من حق الأنسان أن يشكك بما يعد من المسلمات ، لكن المشكلة هي حين يقمع الأنسان نفسه ويلجمها ، لا أعتقد أن اللحظة التي يضع فيها الأنسان

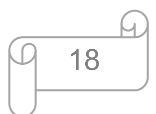
دينه في موضع التساؤل هي لحظة ألحاد ، حتى الملحدين لا يقبلون أن يحسب عليهم أنسان لا يملك الا بعض التساؤلات ، فالألحاد في معناه الشامل أكثر عمقا من سؤال تشكيكي ، حين يفكر الأنسان مليا وبعمق بهذا الوجود ويصل الى مرحلة يتجاوز فيها الشعور بأنه يتجه نحو الشر وحين يضع الدين وما يناظر الدين في موضع التأمل و الفهم والنقد ، سيكون التفكير مثمر فقد يؤدي الى أيمان بالله أكثر قوة من السابق وقد يؤدي الى عكس ذلك .

من الجيد أن تشخص أمام المؤمن وهو يفكر في لغز الحياة صورة الأله الرحيم الذي يسمح للأنسان أن يتأمل ويفكر في الحقائق ، أما صورة الأله المرعب الذي يغضب ويشعل فتيل جهنم فور ورود سؤال له علاقة بحقيقة وجوده من شانها أن تعطل العقل تماما ، من غير الأنصاف أن يقمع الانسان نفسه أو غيره بأسم ربه ،

يشعرك البعض أحيانا أن علاقة الانسان بالله كعلاقة الأنسان بالأنسان ، يحذرك من الله ويوحي اليك أن الله حاد المزاج صعب الطباع يثور فقط لأن أحد ما فكر بحقيقة وجوده ، ومع معرفة الأنسان بقدرة الله المطلقة يصبح من الصعب جدا أعطاء العقل رغبته الدفينة في التامل .

يقول الدكتور علي الوردي : (رجال الدين عندنا يتصورون الله كالملك جالسا على العرش وحوله الملائكة وهو يأمر بينهم وينهي . أنهم أخذوا هذه الصورة من حياتهم السياسية . فهم ينظرون الى الله كما ينظرون الى حاكمهم السياسي ، أذ يحاولوا أن يتملقوا ويتزلفوا أليه أو يمدحوه ويبرطلوه .)(4)

ويقول الدكتور مصطفى محمود : أن الله أقرب الى الذين يجتهدون في فهمه من الذين يؤمنون به أيمانا أعمى)(5)



مصطفى محمود (1921-2009)

مركب الشك الذي أدى الى شاطيء الأيمان

الدكتور مصطفى محمود هو هذا الأنسان الذي بدأ مشككا متسائلا وأنتهى مؤمنا مبشرا ، هذا الطبيب الذي فضل الكتابة على ممارسة مهنة الطب ، بدأ الكتابة في بعض المجلات المصرية ، ألف مجموعة من الكتب تعتبر مراة تعكس مراحل تحوله الفكري ، ما كتبه مرتبط أرتباط وثيق بالواقع والعلم والدين ، له أسلوب مميز في ربط العلم بالدين تجسد واضحا في برنامجه التلفزيوني الشهير العلم والايمان ، يتحدث في كتابه رحلتي من الشك الى الأيمان عن نفسه حين كان يثير الشكوك والتساؤلات حول حقيقة الله قائلا :

كان ذلك من زمن بعيد لست أذكره . ربما كنت أدرج من الثالثة عشرة إلى الرابعة عشرة و ربما قبل ذلك . في مطالع المراهقة . حينما بدأت أتساءل في تمرد : تقولون إن الله خلق الدنيا لأنه لا بد لكل مخلوق من خالق و لا بد لكل صنعة من صانع و لا بد لكل موجود من موجد . صدقنا و آمنا . فلتقولوا لي إذن من خلق الله ؟ أم أنه جاء بذاته ؟فإذا كان قد جاء بذاته وصحّ في تصوركم أن يتم هذا الأمر . فلماذا لا يصح في تصوركم أيضاً أن الدنيا جاءت بذاتها بلا خالق و ينتهي الإشكال ؟ و تغيب عني تلك الأيام الحقيقة الأولى وراء ذلك الجدل . إن زهوي بعقلي الذي بدأ يتفتح و إعجابي بموهبة الكلام و مقارعة الحجج التي انفردت بها كان هو الحافز دائماً و كان هوالمشجع و كان هو الدافع و ليس البحث عن الحقيقة و لا كشف الصواب. لقد رفضت عبادة الله لأني استغرقت في عبادة نفسي و أعجبت بومضة النور التي بدأت تومض في فكري مع انفتاح الوعي و بداية الصحوة من مهد الطفولة ... إن القول بسبب أول للوجود يقتضي أن يكون هذا السبب واجب الوجود في ذاته و ليس معتمداً و لا محتاجاً لغيره لكي يوجد . أما أن يكون السبب في حاجة

إلى سبب فإن هذا يجعله واحدة من حلقات السببية و لا يجعل منه سبباً أول. هذه هي أبعاد القضيةالفلسفية التي انتهت بأرسطو إلى القول بالسبب الأول و المحرك الأول للوجو.و لم تكن هذه الأبعاد واضحة في ذهني في ذلك الحين.(6)

نلمس بسهولة من كلام الدكتور مصطفى محمود عن نفسه أنه لا يجد أفكاره في تلك الفترة الا غرور ورغبة في أستعراض قدراته الكلامية ، في الواقع أن مجموعة من العوامل المتعلقة بالأنسان كفيلة بجعل عقل الانسان يتحرك من مكانه ويمر بمحطات اخرى قد تكون مشابهة لمحطته الاولى وقد تكون مختلفة وقد تكون هي نفسها بذاتها ولم يختلف الا مكانها .

يتهم الدكتور مصطفى محمود نفسه بالزهو والغرور والتهمة الاكثر رعبا عبادة الذات ، وهو في الواقع ما كان ليصل الى هذه اللحظات التي يشعر فيها أنه في قمة الايمان لولا مروره بلحظات الشك .

أن اللحظة التي سجل فيها نقده لذاته هي أمتداد للحظات الشك ، لو قدر لنا العودة الى الماضي وقلنا لمصطفى محمود حين كان مراهقا أنك لا تطرح هذه التسائلات الا لانك تزهو بنفسك وتعبد ذاتك لقال لنا : (لا تحاولوا الغاء عقلي بهذه الأتهامات فأنا أسأل لأني أبحث عن الحقيقة). لم يكن مصطفى محمود عابدا لذاته ولم يكن مشغولا بأرضاء غروره بقدر ما كان مشغولا بتأمل الله وقوله :(فلتقولوا لي إذن من خلق الله) هو الذي أدى الى قوله : (إن العلم الحق لم يكن أبداًمناقضاً للدين بل إنه دال عليه مؤكد بمعناه.)(7) ويبدو واضحا ومن خلال الاطلاع على المذكرات المنسوبة للرجل انه وصل الى نتيجة أن شكوكه الاولى هي من أدت الى يقينه وأيمانه.

النتائج ليست متشابهة مع الجميع ، والتأملات لا تؤدي دائما الى نفس الشاطيء ، فقد يصل غيره الى حقيقة أخرى مفادها أن الله غير موجود ، وقد يصل اخر الى حقيقة ثالثة تقول أن الله موجود لكن الأديان خرافة من صنع الانسان ، وقد يصل رابع الى لافتة كبيرة مكتوب عليها (لا أدري) ، وكل هذا وارد ، الأكثر قوة من كل هذا هو القدرة على تفهم الاخر وأستيعاب أن ما يملكه في عقله حقيقة يعتقد بها . والأكثر قوة من ذلك هو فهم الذات وتفهم تقلباتها .

أن تأملات الانسان ليست مجردة ، فالأنسان تحكمه طبيعة شخصيته ويتأثر بمحيطه وتراثه وانفعالاته وتجاربه مع الحياة وحين يتاثر بفكرة ما فهو في الواقع يجدها تحاكي تأملاته وتنطق بما يعجز عن البوح به لنفسه.

يحدث أن يقرأ أحدهم مقال في جريدة فيقول في نفسه (كم قريب هذا الكلام الى نفسي وكم هو واقعي وحقيقي) هو في الواقع كان يشعر بمعانيه في عمق ذاته الا أنه لم يجمع في عقله تلك الحروف التي تعبر عنه بكلمات ، وما كان هذا المقال الا ترجمة لما مكنون في ذاته .

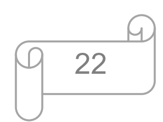
أن مسألة الأيمان بالغيبيات مسألة شعورية أكثر منها عقلية منطقية فتجد من يعرض عليه الف دليل على وجود الله لكنه لا يشعر بوجوده ، وتجد من يعرض عليه الف دليل على عدم وجود الله ولا يجدها الا هراء . وتحيط بالأنسان الكثير من المؤثرات التي تجعله يمنطق الامور ويجعلها معقولة ، أو يجعلها غير منطقية وغير معقولة ، المكان والزمان و التراث وطبيعة الشخصية والتأملات والتجربة الشخصية والأطلاع كلها عوامل مؤثرة في تحديد مسار شعور الأنسان بما هو منطقي أو غير منطقي وما هو معقول وما هو غير معقول .

أثبات وجود الله للملحد أمر صعب جدا بقدر صعوبة أثبات عدم وجود الله للمؤمن ، وقد تجد مؤمنين يلحدون وملحدين يؤمنون وهذا أمر طبيعي جدا وغير مستغرب ، وتجد أيضا مؤمنين يزدادون أيمانا وملحدين يزدادون الحادا وهذا أيضا أمر طبيعي ، من يشعر بوجود الله يجد أدلة وجوده منطقية ومقبولة عقلا ومن لا يشعر بوجود الله يجد أدلة عدم وجوده منطقية ومقبولة عقلا.

مؤمن بعين الملحد وملحد بعين المؤمن

قبل فترة كنت في نقاش مع احد الأصدقاء حول الألحاد فسألني هذا الصديق :(هل أنت ملحد ؟) أجبته : اريد أن أعرف أولا ما الذي دعاك لتسال هذا السؤال ؟ فقال ألمس في كلامك ميول لتبرير ألحاد الملحدين . فقلت له :

قد أكون ملحد كما تتصور وقد اكون مؤمن وقد أكون لاديني ربوبي أؤمن بوجود خالق ولا أؤمن بالأديان وقد أكون من اللاأدريين الذين يعتقدون ان اثبات صحة الاديان أو اثبات عدم صحتها نظريات يستحيل التحقق من صحتها . كل شيء جائز . لكن السؤال هو ما هو الفرق عندك في تقييمي ؟ فقد أكون ملحد وأدعي الأيمان كيف ستعلم الحقيقة ؟ وقد أكون مؤمن لكني اتفهم السبب وراء ألحاد الملحدين والتمس لهم العذر . لماذا على الأنسان أن يصنف نفسه ؟ لا أجد من الضروري أن أصنف نفسي كمؤمن أو ملحد . فلم أعد أفكر بالأنتصار لأفكاري . لو كنت مؤمن فأيماني شيء مكتوم بيني وبين ربي . ولو كنت ملحد فلا اعتقد أن الله سينفعل ويغضب لأن أحدهم لم يشعر بوجوده ولم يعقله . وقد يجعلني كل ما سبق مؤمن بعين الملحد وملحد بعين المؤمن .



تحقيق غاية أخلاقية بوسيلة فاسدة

وجهة النظر الدينية تقول ان الدين وجد لتنظيم علاقة الانسان مع الله الانسان وتنظيم علاقة الأنسان مع الكائن الحي . أذن الدين مسخر للأنسان ووجد لأجله . يقول الرسول محمد (أنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق) بدأ الرسول محمد كلامه بمفردة (أنما) وهي أداة حصر ، أي ان الدين بكل ما فيه من عقائد وفقه محصور في هدف واحد وهو الأخلاق . لا يمكن أن تكون الغاية أتمام مكارم الاخلاق ووسيلة الوصول اليها بعيدة عن الاخلاق كالقتل والغلظة وسوء الخلق وسلب أرادة الاخرين بأسم حماية الدين وتنظيف المجتمع من الرذيلة ! لم يقول الرسول محمد أنه جاء بالأخلاق كلها بل قال أنه جاء ليتممها . أذن الأخلاق موجودة قبل الأسلام . ومن الأجحاف ان يحتكر المؤمنين الاخلاق لأنفسهم . لا يمكن ان تقنع الاخر بالألتزام بالدين بأساليب لا اخلاقية كسلب أرادته او أيذائه جسديا أو نفسيا . يقول الأمام علي (هيهات ان أصلح دينكم بفساد ديني) . الغاية لا تبرر الوسيلة فلو كانت غايتي هي جعل شخص معين يترك شرب الخمر (غاية أخلاقية سامية) لا يمكن ان تكون وسيلتي هي تعذيبه وتقطيع أوصاله لاجباره على ترك الخمر (وسيلة فاسدة) فقد يترك الخمر خوفا مني لكنه سيبقى يتمنى شربه في أي لحظة وأبتعاده عنه ليس ألا شيء وقتي سببه الخوف . أذا كنت أريد تحقيق هذه الغاية فعلا فيجب أن ابرز عضلاتي في التأثير على الاخر والولوج الى عقله وروحه وهذا هو الأنجاز الانساني العظيم الذي يستحق الاحترام وهو تحقيق غاية سامية بوسيلة سامية .

هل من الممكن معالجة ذنب من خلال أرتكاب ذنب اكبر منه ؟؟؟ هل يمكن ان أعالج ظاهرة اللواط بظاهرة القتل ؟؟؟يا سلام ... أريد تنظيف المجتمع من ظاهرة اللواط فادخل فيه ظاهرة القتل .أنها تراجيديا ساخرة ومؤلمة . في الدين الاسلامي القتل أكثر ذنب من اللواط . هل يمكن أن نعالج اللواط الذي أتهم به أشخاص على الشبهة بسبب مظهرهم

الخارجي من خلال القتل ؟؟؟ ومن اعطانا صلاحية تنظيف المجتمع من الرذائل؟؟؟ وماذا عن الرذائل التي لا تثور ثارئرة المجتمع منها كالدجل وأستغلال الدين والنفاق وغيرها ؟؟؟ ألا يجب تنظيف المجتمع منها؟؟؟ أم ان التنظيف يشمل الرذائل التي ظاهرها يخدش شكل المجتمع الذي يحرص جيدا على التظاهر بالفضيلة ولا يهمه الرذائل التي لا تؤثر على شكل المجتمع الخارجي .

الهدف الرئيسي من مقاومة اي أحتلال أجنبي في أي بلد هو حماية الوطن وحماية أبناء هذا الوطن من ان تسلب أرادتهم ومقدراتهم من قبل المحتل . عدد العراقيين الذين قتلهم الأمريكان لا يصل الى ربع عدد العراقيين الذين قتلتهم المقاومة بأدواتها المفخخة ورصاصاتها الغادرة أما عدد الامريكان الذين قتلتهم المقاومة فلا يصل الى ربع عدد العراقيين الذين اريقت دمائهم بأسم المقاومة . معادلة صعبة ... ترفع شعار حماية المجتمع من المحتل فتحقق تحت هذا الشعار الهدف الذي كان من المفترض ان يحققه المحتل ... أنه فن تشكيلي لا يجيده ألا الشعوب التي تعشق الشعارات وتخدرها العنتريات .

لا يقدر أحدهم على سلب الأله من قلبك

شيء مؤلم ان تجد ملحد يخرج عن الحوار الموضوعي ويخرج عن الاخلاق ويجرح المؤمن بمقدساته ويستهين بعقله بحجة أنه بعيد عن العلم . ومؤلم جدا ان تجد مؤمن يتمنى ان يشاهد الملحد يحترق في النار . حين يقول المؤمن للملحد أدعو من الله أن يهديك الى الصراط المستقيم يجب أن يفهم الملحد جيدا أن هذا الكلام نابع من محبة لان المؤمن يعتقد بوجود

الله ويعتقد أنه قادر على كل شيء وحين يدعو له بالهداية فهو يقدم له المزيد من الحب . وعلى المؤمن أن يتفهم ان الملحد لا يشعر بوجود الله والموضوع لا يخص المؤمن بل يخص الله والملحد فقط . على المؤمن أن يعلم أن الملحد ليس لديه القدرة على الدخول الى قلبه وسلب الأله منه ألا أذا كان هو غير متمسك بوجود الأله في قلبه . وعلى الملحد أن يعلم أن المؤمن ليس له قدرة على أدخال الأله في قلبه ألا أذا أراد هو أن يؤمن به بكل أطمئنان .

حراس السماء

حراس العقيدة . حماة الدين . جند الله . كل هذه التسميات تعبر عن دين يحميه الأنسان . والمفترض أن يقوم الدين بحماية الأنسان وليس العكس ! من خلال خلق حالة توازن نفسي وعلاقة متزنة بين الله والانسان والأنسان والانسان الاخر . في اللحظة التي يحتاجني الدين لأحميه أصبحت أنا الدين وأصبح الدين مجرد فكرة بحاجة الى حماية من أنسان . أن الأنسان الذي يحمي الدين أصبح هو الدين . في الوقت الذي يشعر فيه الأنسان أن فكرة وجود الله معرضة للخطر وقد تزيحها فكرة أخرى فعليه أن يتاكد أن هكذا أله ليس له وجود . نعم الأله الذي يحتاج مني أن أحميه ليس أله . علاقتي مع الله مكتومة . وهي علاقة المخلوق مع الخالق ، أساس هذه العلاقة هو التواصل الذي يجسده التأمل المستمر والتسائل والأستفهام . الخالق لا يحتاج مني أن أدافع عن فكرة وجوده ولا يحتاج مني ان أنصب نفسي محامي او ناطق رسمي باسم السماء . أنا من احتاج ان أتأمل وأتواصل مع الخالق في لحضات ضعفي وقوتي وفي لحضات حزني وسعادتي وفي كل تقلباتي .

ما يجعل للحياة معنى

أن الدفاع عن فكرة بالقوة أمر ساذج وخطر مهما كانت هذه الفكرة . لا يوجد شيء يستحق أن يعرض الأنسان نفسه من أجله للخطر ألا حماية الذات أو حماية انسان اخر معرض للخطر . الشيء الوحيد الذي يجعل للحياة معنى هو ذلك الشعور الرائع الذي يولده مساعدة الأنسان لأنسان اخر بحاجة أليه . الحياة ممتلئة ألم وما يجعل لها معنى هو تقليل الألم . نعم الحياة ممتلئة ألم وما يجعل لها معنى هو تقليل الألم وزرع الامل في نفوس اليائسين والمحبطين وما أكثرهم . الحياة سريعة وتافهة ومليئة بالألم وليس بالضرورة ان أتعرض أنا لهذا الألم لاشعر به فهناك مألومين في كل مكان وفي كل لحظة وأجمل ما في هذه الحياة هو تقليل الألم عن الاخرين وأشعارهم بالراحة وبدون الشعور بمعاناة الاخرين ومحاولة تقليلها عنهم ليس للحياة معنى .

التعاطف مع معاناة الاخرين حالة سامية لكن البعض يضعون شروط لهذا التعاطف فمثلا لو تعرض المسلمين في بورما للعنف على يد بوذيين سيتعاطف معهم بل سيبكي لأجلهم لكن حين يتعرض البوذيين في أفغانستان لعنف وأضطهاد وتهتك مقدساتهم لا يبالي ولا يكترث بل سيبرر تعرضهم للاضطهاد وسيلتمس له العذر . أتألم جدا حين يتعرض المسلمين للأضطهاد لأسباب دينية لكن ليس لأنهم مسلمين بل لانهم أشخاص يعانون لأسباب دينية ، لو كان من يتعرض للاضطهاد بوذيين في أفغانستان سأتعاطف معهم أيضا وبنفس الطريقة. الثابت هو التعاطف مع من يتعرض للاضطهاد لسبب ديني أو لأي سبب اخر وليس التعاطف مع أبناء ديني فقط .

ان التعاطف مع الكائنات الحية بمجملها هو تسامي وأرتفاع عن واقع السقوط في حبائل الأنحياز الأعمى للفئة والذي من شانه جعل مشاعرالأنسان أشبه بحاسوب يعمل وفق رمز سري معين وهو (الفئة

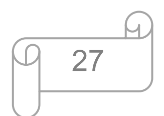
التي ينتمي اليها الانسان) . من يتردد في التعاطف مع كائن حي يتألم ومن يكبت تعاطفه مع الاخر ومن لا يمد يد العون للاخر لأنه ينتمي لأنتماء مختلف ، هو في الواقع خارج نطاق الحياة وخارج حدود الزمن وحياته بلا قيمة تذكر .

تملق الخالق وتزلفه

تقديس مخلوقات الله وأحترامها هي اسمى طريقة للتواصل معه وتعظيمه أما تقديس الله وتحقير مخلوقاته فهو أستخفاف بالخالق وهو لون من الوان التملق الذي أعتاد البعض عليه كمنهج في حياتهم اليومية للوصول لدرجة اعلى في الوظيفة فهم يتعاملون مع الله بنفس الفلسفة التي يتعاملون بها مع مديرهم وهي فلسفة التملق والتزلف الذي يوازيه أيذاء الاخرين للوصول لمنصب اعلى وهذه الفلسفة التي تنجح غالبا مع رؤساء العمل لا تنجح أبدا مع الله فالله يريد من الأنسان ان يحترم مخلوقاته ولا يريد منه ان يحتقرها ثم يجلس على السجادة ليقول كلمات تمجيد بحق الله وهذا الاسلوب الذي يتبعه كثيرين هو التملق بعينه .

عالم الذرة المسلم وعالم الذرة الهندوسي

أن العقيدة التي يعتقد بها الأنسان هي حقيقة ساكنة في قلبه قبل عقله ، قال أحد رجال الدين مرة (أن عالم الذرة الهندوسي وصل الى أرقى درجات العلم لكن لا زال ضحل العقل يقدس البقرة) لو سألنا عالم الذرة الهندوسي عن الكيفية التي يعقل بها تقديس البقرة لوجدنا لديه أكثر من جواب والف مبرر منطقي بل سيتعجب كيف أننا لا نجد في البقر قدسية!



وفي نفس الوقت قد نجد رجل دين هندوسي يقول (هناك عالم ذرة مسلم وصل الى أرقى درجات العلم ولا زال يقدس حجر ويدور حوله في وقت معين من السنة ويسمون هذه الطقوس بالحج) وحين تسأل عالم الذرة المسلم عن الكيفية التي يعقل بها تقديس حجر والدوران حوله سيبين لك وبشكل منطقي العلة من الحج والمغزى الأساسي منه والرمزية فيه . المسلم يملك حقيقة مطلقة يدافع عنها والهندوسي يملك حقيقة مطلقة يدافع عنها وكل عقيدة هي حقيقة مطلقة في قلوب وعقول معتنقيها.

قبل فترة سألت أحد الأصدقاء عن الديانة البهائية فنصحني بقراءة معلومات عن هذه الديانة في أحد المواقع الأسلامية فقلت له أريد معلومات عن البهائية وليس عن رأي المسلمين بالبهائية فقال لي أن المسلمين يبينون لك حقيقة البهائية ، فقلت له هل من الأنصاف أن أقرأ عن الاسلام في موقع مسيحي ؟ أو موقع يهودي ؟ بالتأكيد أكثر من يعبر عن حقيقة ما أعتقد به هو أنا وليس غيري ، من الظلم أن تقرأ عن الملحدين وحقيقة الألحاد من ادبيات المتدينين فقط ، ليكون الأنسان موضوعي يجب أن يطلع على ما يقوله الملحد ليفهمه ولا أجد من الضرورة أن يعلق الأنسان في ذهنه دائما فكرة الأطلاع على أفكار الاخرين أو عقائدهم لنقدها أو أعتناقها ، حين يكون الهدف الأساسي فهم الاخر سيكون الأنسان أكثر موضوعية وتجرد وستكون لديه قابلية أكثر على أستخدام الموهبة التي تميزه عن سائر المخلوقات وهي أن يضع نفسه محل الاخر ليفهمه ويستوعب أفكاره وسولكياته.

حين يقول لي أحدهم أن الكثير من الاحاديث التي يرددها المشايخ هي أسرائيليات أو مدسوسة فهو يجافي الحقيقة التي تقول أن هؤلاء المشايخ يعتقدون بصحة هذه الأحاديث ويتخذونها عقيدة ومنهج حتى لو كان ما يقوله الشيخ مدسوس وليس له أساس فقد أصبح له أساس وتحول الى

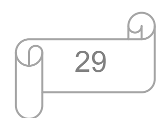
حقيقة حين اريد له أن يكون حقيقة . أن التحري عن مدى صحة ما وصلنا من الدين هو أمر جيد لكن المشكلة هي ان الفاصل الزمني حول الكثير من الامور الدخيلة الى أصيلة بل حولها الى عقائد لا نقاش فيها ، وأصبحت حقيقة دينية ساكنة في قلوب مصدقيها.

حقائق شتى ... لا حقيقة واحدة

الحقائق نسبية من جهة ومتعددة من جهة أخرى . فما أعتقد أنه حقيقة هو سراب بالنسبة لغيري وما يعتقد به غيري هو وهم بالنسبة لي . وحتى النظريات العلمية غير ثابتة وهي محل نقاش وأعادة نظر وقد تاتي نظرية بعدها تحولها من نظرية علمية محترمة الى نظرية خاطئة عفا عنها الزمن . لذلك لا يمكن الأعتماد على العلم أعتماد كلي يقيني في تحديد موقف من عقيدة معينة .

يقول المفكر ضياء الشكرجي (الله بالنسبة لي لا يعرف بالدين، ولا ينفى بالعلم، بل يستدل عليه بالفلسفة، أو الأدلة العقلية)(8)

الان أنا أضحك على بعض قناعاتي قبل عشر سنوات ولا أعلم ما هو موقفي من قناعاتي الان بعد عشر سنوات . لذلك الحقائق التي أؤمن بها تبقى نسبية وقابلة للنقاش دائما وأبدا والحقائق التي يعتقد بها الاخرين تبقى محترمة لاني قد أقتنع بها يوما ما . لذلك ليس هناك مفر من أحترام الاخر لانه أنا بصورة أخرى . فقد أتحول أنا الى الجانب الاخر وقد يتحول الاخر الى جانبي والطريقة الوحيدة لأحترام الذات وأحترام الاخر هي تفهمه حتى لو كانت افكاره تبدو سخيفة لأول وهلة .



المصادر

1- أيها العقل من راك - عبد الله القصيمي - صفحة 29
2- العقل الأيماني – حسن أبراهيم أحمد – (صفحة 75 و 141)
3- التخلف الأجتماعي - مصطفى حجازي - (صفحة 72 و73)
4- خوارق اللاشعور - علي الوردي - صفحة 187
5- الله والأنسان - مصطفى محمود - صفحة 131
6- مصطفى محمود - رحلتي من الشك الى الأيمان – صفحة 1و 2و 3)
7- المصدر السابق - صفحة 13
8- ضياء الشكرجي في حوار مفتوح – موقع الحوار المتمدن – الردود على القراء

-2-

الرسول محمد وحقوق الأنسان

من اقوال الرسول محمد ذات العلاقة الجوهرية بحقوق الانسان وقبول الاخر هو قوله :

المسلم من سلم الناس من لسانه ويده والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم .

نسبة من رجال الدين لا يركزون كثيرا على هذا الحديث ويركزون اكثر على احاديث وايات قرانية يضعونها في قالب يناسبهم ويفرغوها من محتواها ويأولونها بطريقة توائم نفسياتهم وطبيعتهم التي تميل الى الغاء الاخر ويخلقون مشاعر عنصرية بين المسلم وغير المسلم ويجعلون المسلم يتحول الى قمة القسوة واللامبالاة أذا علم أن مسلمين قتلوا اشخاص غير مسلمين وقمة الرقة والتعاطف أذا علم ان أشخاص غير مسلمين قتلوا مسلمين ... (المسلم من سلم الناس) ماذا تفهم حين تسمع مفردة (الناس) ؟؟؟ جميع الناس على اختلاف أديانهم وقومياتهم ومذاهبهم وتوجهاتهم الفكرية والسلوكية . حتى لو كان هناك انسان لا يستحق الأحترام فنحن لا نستحق ان نمارس العنف ولا نستحق ان نعامل الاخرين بدون احترام . النبي يتحدث عن دواخلنا ومقاومة نزعاتنا الى الغاء الاخر ويتحدث عن أحترام مخلوقات الله . الحديث يتحدث عن تدريب الذات على الاحترام والتقدير وقبول الاخر مهما كان انتمائه . (من سلم الناس من لسانه) الأذى النفسي (ويده) الاذى الجسدي . هذا الحديث يوضح بدقة متناهية وجوب أحترام الاخر سواء كان مسلم أو غير مسلم . أما المؤمن وهو الأعلى مرتبة من المسلم فهو من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم . الواقع أن تطبيق الجزء الاول من الحديث هو الطريق الى الجزء الثاني منه. أي أن أحترامي للاخرين وأحترامي لخياراتهم الدينية والمذهبية وأحترامي لطريقة الحياة التي أختاروا أن يعيشوها هو من سيجعلهم يشعرون اني استحق وبجدارة أن ياتمنوني على دمائهم وأموالهم .

يقول النبي محمد :

أنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق

أنما أداة حصر أي أن الغاية الوحيدة للبعثة النبوية هي اتمام مكارم الاخلاق أي ان كل غاية اخرى مرتبطة بالاخلاق بالضرورة . ومفردة (أتمم) تعني ان هناك أخلاق فعلا لكن الدين جاء ليتممها . هذا يعني ان الدين بكل تفاصيله مبني على الأخلاق . الغلظة مع غير الملتزمين دينيا ومع غير المسلمين خصوصا من قبل من يدعون انهم يحملون هم الدين على عاتقهم من اين جائت؟؟؟ هل وجدتم شخص يريد أتمام مكارم الاخلاق بسوء الخلق . هل من الممكن ان تحاول مساعدة فلاح في سقي مزروعاته من خلال سقيها بالنفط ؟؟؟ الوسيلة لاتمام الاخلاق هي الاخلاق نفسها والغاية لا يمكن ان تبرر الوسيلة . لا يمكن ان يقتنع انسان بأنك تريد مصلحته وانت تحدثه باحتقار او تؤذيه جسديا . لنكن واقعيين هناك أشخاص غايتهم هي ان تنصاع الناس لرغباتهم وليس غايتهم ان يطبق الدين

يقول الرسول محمد

ان من شر الناس من أتقاه الناس لشره

تامل جيدا ... هل تعتقد أن هناك دين ممكن ان يطبقه الناس كمنهاج حياة من خلال الاكراه والقوة أم أنهم سيطبقون ظاهريا ما يطلب منهم أتقائا لشر من يدعون أنهم ممثلي الدين ؟؟؟

يقول الامام علي (ميدانكم الأول أنفسكم ، فأن أنتصرتم عليها كنتم على غيرها أقدر ، وأن خذلتم فيها كنتم على غيرها أعجز . فجربوا الكفاح معها أولا)

الأولى بالانسان أن يكافح مرض حب التسلط على الاخرين وحب السيطرة عليهم واستبداله بقبول الاخر وتفهمه . الأولى بالانسان ان يواجه مشاعر الكراهية التي يكنها للاخر الذي أختار نمط حياة مختلف عنه واستبدالها بمشاعر حب وتمني حسن العاقبة . الأولى بالأنسان ان يحارب سوء الخلق مع الاخر ويستبدله بحسن الخلق والكلمة الطيبة . أذا قدر على ذلك فهو قادر على ان يؤثر على الاخرين أما أذا عجز عن ذلك فهو مع الاخرين أعجز .

حين يكون الدين أمر شخصي يستطيع معتنقيه ممارسة شعائرهم وطقوسهم بكل حرية ويحميهم القانون من أي محاولة قمع من قبل غير المتدينين وحين يكون الأنسان غير المتدين أو المنتمي لدين اخر أو مذهب اخر أو اي أنتماء اخر محمي من قبل القانون من أي محاولات قمع باسم الدين وحين يحترم كل أنسان الحرية الشخصية للاخر طالما أنه لا يتجاوز على حريات الاخرين . هنا فقط سيكون القمع بأسم الدين جريمة يعاقب عليها القانون . هنا فقط سيكون المجتمع مجتمع مدني

متحضر يتقبل الاخر ويحترم خياراته ويتفهمها سواء كان الاخر متدين او غير متدين ملتزم أو غير ملتزم .

تأمل ... هل تعتقد أن هناك مقدس يحتاج الى تملق وتزلف من بني البشر في أن يقمعوا من لا يعترف بوجوده ؟؟؟ وهل هناك مقدس أنفعالي لهذه الدرجة التي تجعله يأمر بقتل كل من يفكر بفكر لا يروق لمن يدعون أنهم يحمون الدين من أعدائه ؟؟؟ وهل الأنسان يحمي الدين أم الدين يحمي الانسان . أعتقد أن الدين هو من يحمي الأنسان و ينظم علاقته مع الله ومع الاخرين. في الوقت الذي اقوم فيه أنا بحماية الدين اصبح الدين هو من يحتاجني ولست أنا من يحتاجه .

الدين حالة روحانية تأملية معرفية أخلاقية عقائدية تخص من يعتقد بها وحده ويجب ان يعرف كل أنسان حجمه وحدوده في هذه الحياة فالعلاقة مع الله ليست حكرا على هذا النموذج الذي أعطى لنفسه الحق في الحديث بأسم الله . علاقة الأنسان مع الله مكتومة وتخصه وحده وليس من حق احد أن يتدخل في شؤون غيره ولا يضمن ذلك ألا دولة مدنية يكون فيها للمتدين وغير المتدين كل الحق في العيش كما يريد طالما أنه لا يتعدى على شؤون الاخرين الشخصية .

أذا أراد رجال الدين والمتدينين أن يكون كل المجتمع متدين ملتزم بشريعة الله فليرونا براعتهم في النفوذ الى قلوب الناس والتأثير فيهم وكسبهم . ليرونا كيف يمكنهم بالأفكار التي يؤمنون بها أن يجعلوا المجتمع متدين . لديهم قنوات فضائية ومؤسسات دعوية ودور عبادة ليبثوا أفكارهم من خلالها والناس لهم كل الحرية في أن يختاروا طريق التدين أو أن يختاروا غيره والضامن لذلك هو دولة مدنية تضمن حرية التعبير للمتدين وغير المتدين والصراع الفكري القيمي العقائدي الأخلاقي له أن يبدأ ولا ينتهي طالما انه في حدود أحترام حرية الاخر وخياراته .

دستور المدينة

لو أطلعنا على دستور المدينة وهو الصحيفة التي سنها الرسول محمد بعد هجرته للمدينة والتي تنظم العلاقة بين المسلمين فيما بينهم وبين المسلمين والأقليات الاخرى كاليهود . سنجد انه يحوي على 52 فقرة أكثر من نصفها تتحدث عن تنظيم علاقة المسلمين مع غير المسلمين والبقية تتحدث عن تنظيم علاقة المسلمين مع بعضهم البعض . أي ان أكثر من نصف الدستور يتحدث عن حقوق الاخر وواجباته أي ان للاخر الغير مسلم حصة كاملة من المواطنة .

قد يقول قائل ان الأسلام أنتشر بقوة السيف . الواقع يقول ان النبي محمد لم يكن دموي وأنتقامي أبدا بل كان مرهف الحس ورقيق القلب والشواهد على ذلك كثيرة . فحين حدثه أحد أصحابه عن قصة وأده لأبنته (دفنها حية) لم يتمالك نفسه وأنهمرت دموعه . ولو كان الرسول محمد أنتقاميا دمويا يحب التسلط لأستغل الفرصة الذهبية في فتح مكة وأنتقم من قريش الذين ناصبوه العداء وأستضعفوه وحاربوه لكنه قال لهم (أذهبوا أنتم الطلقاء).

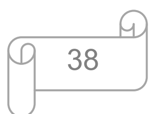
لم يظهر النبي محمد في مجتمع متمدن بل ظهر في مجتمع الصحراء . مجتمع البداوة الذي يحترم السيف والقوة . يحلل الدكتور علي الوردي الواقع الأجتماعي في عهد النبي ويتحدث في تحليله عن طبيعة العرب ودور النبي محمد (الديني والأجتماعي والسياسي والعسكري) وطبيعته الشخصية وتأثيره على العرب . يقول الوردي :

كان العرب قبائل بدوية يغزو بعضها بعضا . وهم كانوا ينتظرون من يوحدهم ويرمي بهم نحو العالم يفتحونه ولو لم يظهر محمد لربما ظهر فيهم رجل من طراز جنكيز خان أو تيمورلنك والعالم القديم كان مهددا بين كل حين واخر بموجة بدوية تجتاحه وتؤسس الدولة الفاتحة فيه . ومن مزايا محمد أنه ترك في أمته أثرين مختلفين . فهو قد وحد العرب ووجههم نحو الفتح من جهة ، وهو من الجهة الأخرى علمهم دينا فيه قسط كبير من تعاليم العدالة والمساواة ... يحاول بعض المستشرقين ذم الأسلام اذ وصفوه بأنه يحمل القران بأحدى يديه والسيف باليد الاخرى . وما دروا أنهم يمدحون الأسلام من حيث ارادوا ذمه . فالأسلام قد أنتج بهاتين اليدين تفاعلا أجتماعيا لا يخمد له أوار . فكان يخضع الناس من جانب ويثيرهم من الجانب الاخر . فانبعثت من هذا التناقض بين

الاخضاع والأثارة حركة أجتماعية قلما نجد لها مثيلا في التاريخ ... كان الجيش الأسلامي يحتوي على النقيضين . وقد رات منه الشعوب المفتوحة يدا تجرح وأخرى تمسح من هنا جاء قول غوستاف لوبون (لم يشهد التاريخ فاتحا أرحم من العرب) كان العرب فاتحين وفيهم طبيعة كل فاتح ولكن فيهم طبيعة أخرى بعثها النبي في زمرة من أصحابه المخلصين فكان هؤلاء دعاة العدل والرحمة في كل مكان ذهبوا أليه . أستمر الفتح الأسلامي على هذا المنوال طيلة عهد الخلفاء الراشدين . فلما ظهرت الدولة الاموية أخذ كل شيء من التغير يحدث فيها تدريجيا . وهذا التغير نشا عن كون الصحابة والتابعين صاروا ينتقدون سياسة الدولة الجديدة ويبتعدون عنها . ألتف حول الدولة الاموية جماعة من المتزلفين واخذوا يتظاهرون أمام الناس باسم الدين . وهم لم يكونوا في الواقع سوى كهان ، شان أي جماعة من رجال الدين تحيط بالسلطان ... كان الدين والدولة متحدين فأفترقا في عهد بني امية . (1)

المصادر :

1- مهزلة العقل البشري – علي الوردي – (258 – 259 – 260)



-3-

لو كان النبي محمد من الصين

قبل فترة كنا نتناقش أنا وأحد الأصدقاء فقال لي على كل انسان البحث عن الدين الصحيح ليصل في النهاية الى حقيقة أن الأسلام هو الدين الحق ومن يتكاسل في البحث عن الحقيقة لن تقبل منه أي عقيدة أخرى لأن الأنسان لديه عقل يجعله أمام مسؤولية الوصول الى الدين الصحيح ، فقلت له لنفترض أني من القبائل البدائية التي تسكن حوض الأمازون كيف سأعرف الأسلام ؟ فأجابني هذا ليس حجة من واجب كل أنسان البحث عن الدين الصحيح ، فقلت له لنفترض أني بحثت في الدين الأسلامي هل تعتقد أني سأجد شخصية تمثل الأسلام الان أكثر شهرة من اسامة بن لادن أو تنظيم يتحدث بأسم الأسلام أكثر شهرة من تنظيم القاعدة ؟ وهل تعتقد أن أنسان بدائي يسكن حوض الأمازون سيعرف أن شخص يملك شعبية معتبرة في المجتمع الأسلامي يوازيها دموية وقسوة يلتمس لها الكثير من المسلمين العذر ممكن أن يعتنق الأسلام ؟ فقال لي أسامة بن لادن منحرف لا يمثل الأسلام وليس قياس ثم أن هناك من أعتنق الأسلام حتى بعد الأحداث الدموية لتنظيم القاعدة لأن لديهم عقل يميزون به الفكر الأسلامي الحقيقي من الأفكار المنحرفة وأضاف أن هناك الكثير من أتباع الديانات الأخرى أعتنقوا الأسلام وبعضهم شخصيات علمية مرموقة وهذا يدل على استطاعة أي أنسان يملك عقل سليم أن يميز ان تنظيم القاعدة لا يمثل الأسلام الحقيقي وبأمكان أي شخص الوصول الى الفكر الأسلامي الحقيقي .

ان المبدأ الأساسي الذي يدعو له صديقي الأسلامي هو مبدأ الأطلاع على جميع الأديان وأختيار الأفضل ، من المفترض أن هذا المبدأ (البحث والأستقصاء والمقارنة بين الأديان) مبدأ عام يشمل الجميع حتى المسلمين لكن الواقع يقول أن المسلم يستثني نفسه ويكتفي بان يحمد الله على نعمة الأسلام !

يناقش المفكر العراقي غالب الشابندر رأي الشيخ محمد رضا المظفر في هذا الخصوص وسأنقل هنا جزء من نقاشه لصلته الوثيقة بصلب الموضوع :

قال الشيخ المجدد محمد رضا المظفر رحمه الله (كيف يجوز لهؤلاء النصارى واليهود أن يطمئنوا إلى عقيدتهم، ويركنوا إلى دينهم، قبل أن يفحصوا عن صحة الشريعة اللاحقة لشريعتهم كالشريعة النصرانية بالنسبة لليهود، والشريعة الإسلامية بالنسبة إلى اليهود والنصارى. بل يجب بحسب نظرة العقول أن يفحصوا عن صحة هذه الدعوى اللاحقة، فإن ثبت لهم صحتها انتقلوا في دينهم إليها، وإلا ح لهم في شريعة العقل حينئذ البقاء على دينهم والركون إليه) ـ عقائد الإمامية ص 99 ـ فإذا صح لدى النصراني ما يعتقد به بعد أن بذل جهداً طيبا، فله البقاء على ما يعتقد، بل ذاك مذهبه الذي يجب أن يكون، وبالتالي، هل هو كافر بالمعنى الشرعي هنا؟ ولكن هل يعلم الشيخ رحمه الله تعالى أن فرص العودة إلى الأديان اليوم لفحصها ودرسها من أجل الوصول إلى الصحيح مسألة تعد في غاية الصعوبة و الحساسية، هناك ما لا يحصى من عوامل وأسباب الصدود عن مثل هذه المحاولة، صعبة، عسيرة، تقف دونها حوائل سياسية وفكرية ومعيشية، فكيف يكون المصير؟ هل أقول أن مصداق الكافر اليوم يعد من المشكلات الكبيرة؟ ترى هل كل المسلمين اليوم يملكون من أسباب القناعة بالإسلام ما يكفي؟وهل نحن مسلمون إلاّ بسبب الانتماء الوراثي والجغرافي والتاريخي؟ما هو ذنب من لم يولد في مثل هذه عائلة مسلمة، وفي بلد مسلم؟.(1)

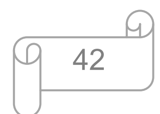
الواقع يقول أن هناك علم منفرد بذاته أسمه (مقارنة الأديان) وهناك علماء افنوا معظم سنوات عمرهم فيه ولم يصلوا الى نتائج تسعفهم بمحاكمة دين معين بشكل قطعي . وذلك لأسباب عديدة منها أتساع نطاق البحث ووعورته وتعقيده . فكيف بالأنسان العادي البسيط المنشغل

بمصاعب الحياة وتعقيداتها والذي قد لا يرى شيء غير طريقة الوصول لقرص الخبز لأسكات جوع ابنائه؟

من اقوال النبي محمد الرائعة قوله:(لا فرق بين عربي وأعجمي الا بالتقوى) ان هذا القول يضع التقوى معيار للقياس بدلا عن العرق ، وكما نعلم ان فرض المحال ليس محال ، من هذا المنطلق أود فرض الفرضية التالية :

لو فرضنا أن الله شاء أن يبعث النبي محمد الان وشاء أيضا أن لا يكون النبي محمد عربي وأختار له أن يكون من بلاد الصين ، هل سيهتم العرب في معرفة الدين الأسلامي والأطلاع عليه ؟هل سيفكر العرب في اقتفاء أثر نبي صيني ذو ملامح اسيوية ؟ لو عكسنا كل ما في الأسلام من ضوابط على الواقع الصيني سيفرض على العربي المسلم بالضرورة الصلاة باللغة الصينية مثلا ؟ وبغيرها لا تقبل صلاته ! وسيفرض عليه قرائة القران باللغة الصينية ، هل سيعتنق العرب الأسلام ؟ قد يقول قائل هناك ملايين الصينيين أعتنقوا الأسلام ما المانع من حدوث العكس ؟ في الواقع أن كل ما سبق يدور حول العقلية العربية الاسلامية وليس حول الاسلام أو الصين كما يتخيل البعض ، فليس مهم دخول ملايين الصينيين في الدين الأسلامي وليس هذا محل نقاش ، المهم هو مدى أهتمام العرب بعقائد الصينيين لو شاء الله أن يبعث خاتم النبيين الان ومن الصين .

سألت هذا السؤال لأكثر من شخص فضولا مني لمعرفة رد فعلهم الاول حين يطرق الى سمعهم الأفتراض السابق وطلبت منهم الجواب بصراحة وبدون تردد فكانت أجوبتهم مثيرة للاهتمام وتدعو الى التأمل ، أحدهم قال لي (الدين لا يعرف من جنسية النبي أو شخصه بل يعرف من محتواه ومبادئه) وقال اخر بشكل مباشر (بالتأكيد لا بل أني أتعجب



أن الاوربيين أعتنقوا المسيحية لنفس السبب) أما أكثرهم غرابة هو من قال لي (من السهل أن أقرأ القران باللغة الصينية ومن السهل أن اصلي باللغة الصينية لكن قل لي كيف سأعرف من هو النبي ؟) هو يشير طبعا الى الملامح الاسيوية التي تجعلنا نرى كل الاسيويين متشابهين .

يصطدم عقل الأنسان بكثير من العوائق منها القومية ومنها عامل اللغة وغيرها حين يفكر في الأجابة على هكذا سؤال لكن من الصعب تكهن الواقع الفعلي لو كانت هذه النظرية حقيقة وذلك لمزاجية الانسان العربي التي تجعل من الصعب توقع سلوكه وخياراته . المزاجية هي من تحكم دول العالم الثالث وليس المبدأية ، فالمسلم يجد أن من الضروري على كل أنسان الأطلاع على جميع الأديان للوصول الى الدين الصحيح ولا يجد ضرورة في أن يطبق هو هذا المبدأ كونه سعيد الحظ لأنه ولد مسلما .

فكرة أن عقيدتي هي الطريق الوحيد الى الله أو الطريق الأقرب الى الله فكرة تسكن في عقل الأنسان العربي مهما أختلف دينه الا ما ندر وهذا حق مشروع لكن يجب ان يقترن بأحترام خيارات الاخرين، حين يشعر الأنسان أن الاخر غير ملزم بما في عقيدته لأنه لا يعتقد بها ، وحين يشعر الأنسان أن الاخر (الديني – المذهبي) يملك عقيدة معتبرة من الضروري تفهم معتنقيها قبل فهمها ، سيكون في قمة الرقي والتحضر وفي صلب التدين .

وحين يفهم الأنسان أن المؤمنين بدين والملتزمين به يمثلون وجه من وجوه الحقيقة الراسخة في عقولهم وقلوبهم سنكون في مأمن من ثقافة ألغاء الاخر وتسفيهه و الضحك على عقله ورميه في جهنم .

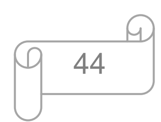
يقول الدكتور علي الوردي :

كنت ذات يوم في مجلس ضمن جماعة من رجال الدين وقد أجمع هؤلاء الرجال أثناء الحديث على ان سكان الارض كلهم ملزمين بان يبحثوا عن الدين الصحيح ، فاذا وجدوه اعتنقوه حالا فكل أنسان في نظر هؤلاء مجبور ان يترك أعماله ويذهب سائحا في الأرض ليبحث عن دين الحق . قلت لهم (لماذا لم تسيحوا أنتم في الأرض للسعي وراء الحق ؟) قالوا وهم مندهشون لهذا السؤال السخيف (أننا لا نحتاج الى السعي وراء الحق لأن الحق عندنا) أنهم يتخيلون أنهم وحدهم أصحاب الحق من دون الناس ونسوا ان كل ذي دين يؤمن بدينه كما يؤمنون هم بدينهم . فاينما توجهت في أنحاء الأرض وجدت الناس فرحين بعقائدهم مطمئنين أليها . (2)

المصادر :

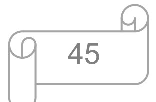
1- **موقع ايلاف – قراءة في ايات التكفير – غالب حسن الشابندر – الجمعة 17 يونيو 2005**

2- **مهزلة العقل البشري – علي الوردي – صفحة 41**



-4-

قبول الاخر بين الأستعلاء الأيماني والأستعلاء الألحادي

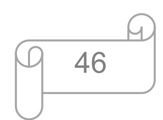


قبول الاخر بين المؤمن والملحد

كنت اتحدث مرة مع أحد المتدينين المتشددين ودار الحديث حول قبول الاخر فقلت له (أن لي صديق ملحد) ما أن سمع كلمة ملحد حتى تحول الى كتلة من الغضب وقاطعني بدأ يلومني بشدة كوني أتحدث مع شخص لا يؤمن بوجود الله ولم أجد أن النقاش ممكن أن يعود بالفائدة فسايرته في كل ما يقول ، في الواقع أن رد فعل هذا الشخص طبيعي كونه يعتقد أن الملحد هو أنسان يعلم أن الله موجود ومتيقن من ذلك لكن لا يريد أن يعبده ، الملحد حسب رأيه هو مرادف للهارب من الخدمة العسكرية أو الذي يعلن العصيان المدني لكن الواقع غير ذلك فالملحد هو أنسان لا يشعر بوجود الله وأكدت له الأدلة العقلية عدم وجوده .

والغريب أن هناك بعض الملحدين يستفزون مشاعر المؤمنين بشدة توحي أنهم يعتقدون بوجود الله لكن يكنون له العداء حتى أن بعضهم يكتب كتابات مثيرة للأشمئزاز وبعيدة كل البعد عن الحوار الفكري والعقائدي . بل ان بعض من يلبسون ثوب الألحاد في ظني ليسوا ملحدين حقا بالمعنى الحقيقي للألحاد بل مجرد ناقمين على الأديان ومشوشين يعبرون عن رد فعل عكسي ولا يستندون على ارضية حقيقية ، أتذكر مرة أرسل لي أحد الملحدين رسالة فيها أستهزاء بذات الله مع العلم أن هذا الشخص كان أسلاميا متشددا يدعو الى الجهاد ! يبدو أن التشدد وألغاء الاخر صفة ثابتة عند البعض فمهما تغيرت أفكارهم تبقى سلوكياتهم ثابتة .

يقول الدكتور علي الوردي: (من الغريب أن نرى رجلا يضطهد غيره من اجل دينه أو رأيه ثم ينقلب فجأة فيصبح بجانب الذي كان يضطهده حيث يأخذ أذ ذاك بأضطهاد من كان على رأيه السابق . لقد تغير رأيه وبقي فيه شيء واحد لم يتغير ، هو أطاره الفكري .(1)



أما عن الأطار الفكري فيقول الدكتور علي الوردي : (أن الاطار الفكري الذي ينظر من خلاله الأنسان الى الكون مؤلف جزؤه الأكبر من المصطلحات والمألوفات والمفترضات التي يوحي بها المجتمع اليه ويعززها في أعماق عقله الباطن . والأنسان أذن متأثر بها من حيث لا يشعر . فهو حين ينظر الى ما حوله لا يدرك أن نظرته مقيدة ومحدودة . وكل يقينه أنه حر في تفكيره . وهنا يكمن الخطر ، فهو لا يكاد يرى أحدا يخالفه في رأيه حتى يثور غاضبا ويتحفز للأعتداء عليه . وهو عندما يعتدي على المخالف له بالرأي لا يعد ذلك شينا ولا ظلما أذ هو يعتقد أنه مجاهد في سبيل الحقيقة ويكافح ضد الباطل .(2)

أن ما يقوله الدكتور علي الوردي بخصوص الأطار الفكري يفسر انحياز الأنسان لنفسه وعقيدته وأفكاره و يفسر وجود شواذ يبحثون عن الحقيقة ضمن أرادة حرة خالية من التعصب لا ميل فيها لجهة ولا تعصب سواء كان هذا التعصب واضح ومكشوف أو تعصب ذكي يحيطه الكثير من أجواء الموضوعية والتجرد لكنه في حقيقته لا يفرق شيء عن ذاك التعصب المفضوح بل هو أكثر سوءا .

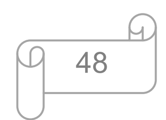
المشكلة عندنا ليست في الدين أو اللادين ، المشكلة في الاطار الفكري فالمتطرف دينيا قد يتحول الى ملحد متطرف ايضا والمتسامح أذا اصبح ملحد قد يتحول الى ملحد متسامح ايضا . هناك طباع في الأشخاص تاثير المكتسبات عليها ليس كبير. قبل فترة رايت طفل لديه ميول عدائية تجاه الطيور وهو ابن الثلاث سنوات اي انه لا يعرف شيء عن الدين وهناك اطفال في نفس العمر لديهم ميول عاطفية شديدة للطيور . لا علاقة كبيرة بين المعتقد والسلوك . المشكلة اجتماعية أكثر منها عقائدية فكرية فلسفية ولدينا قسوة عالية في مجتمعنا بجميع توجهاته . من يشفق على الفقير في

داخله لا يفكر ولو للحظة ان كان هذا الفقير مثله ام لا (مؤمن ام ملحد ، ملتزم أو غير ملتزم) يفكر في أراحته من الألم والتخفيف عنه ومن يفكر في فعل الخير للحصول على مكتسبات يفكر كثيرا ويسأل نفسه مرارا وتكرارا ان كان هذا العمل سيحصل من خلاله على مكتسب أم لا (يحصل على رضى الله او يدخل الجنة او يتخلص من عذاب النار)

التكبر الأيماني

يتعامل نسبة من المؤمنين مع الاخر الملحد او الاخر الديني او الاخر المذهبي أو الاخر الغير ملتزم بالعبادات على انه مجرد شيء منحرف عن جادة الصواب ، مجرد ذنوب تمشي على الأرض ، مجرد رمز لتغييب العقل ، مجرد شخص يعرف طريق الصواب ويتعمد سلوك طريق اخر . والواقع يقول ان للحقيقة اكثر من وجه . وأحد وجوهها هو الأيمان بدين معين والالتزام به .

لا يوجد مشكلة تذكر حين يشعر الانسان المؤمن أنه متنعم بنعمة الأيمان ويحمد الله عليها حين يشاهد شخص غير ملتزم دينيا . ومن الجميل أن يدعو له بالهداية وهذا امر جيد . ولا يوجد مشكلة حين يسعى المؤمن الى دفع شخصا ما الى تقوية علاقته مع الله ، فمن الجميل ان يتمنى المؤمن الخير للاخرين ويتمنى لهم تذوق حلاوة الايمان . ومن الجميل أن يستطعم المؤمن جمال الأيمان فيتمناه لغيره . كل هذا أيجابي ولا غبار عليه طالما انه كان في دائرة احترام خيارات الاخر ورغباته



وعدم تخطي حدود خصوصياته بل هو مطلوب وأجمل ما فيه هو التاثير الايجابي على حياة الاخرين ودفعها الى الأفضل . لكن!

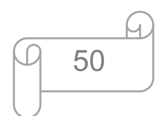
بعض المؤمنين من هذا الطراز الذي كرس نفسه للعبادة . وتحري الحلال والحرام في أبسط الأمور . قد تصيبه لعنة الغرور مع انه قد يذم صفة الغرور ويعتبرها صفة غير حميدة . بمرور الزمن سيشعر أنه بعباداته وتحريه الحكم الشرعي في الصغيرة والكبيرة وصل الى درجة عالية من الأيمان التي تجعله أرفع وأسمى من باقي البشر وأقرب الى الله منهم وينظر الى الاخرين المختلفين عنه نظرة لا تخلو من الأستعلاء مع أنه يعتقد في قاموس أخلاقياته ان الأستعلاء صفة ذميمة لكن الكارثة أنه لا يدري أنه مصاب بها . ويؤدي به ذلك الشعور احيانا الى (سوء الخلق) . من حيث يشعر ومن حيث لا يشعر . ويبدأ بالتحدث مع الفاسقين من تاركي الصلاة أو مع الفاسدين من شاربي الخمور بطريقة متعجرفة ملؤها الاحتقار ولو أمتلك القدرة على الاخرين لأعطى لنفسه الحق في سلب أرادتهم وتحقيرهم لأنه يقوم حسب قناعته بعمل فيه فائدة للاخر أذ يبعده عن النار ويقربه من الجنة . ان هذا الغرور الايماني هو أسوء انواع الغرور لأنه يشعر صاحبه انه يملك الحق في دفع الناس نحو الفضيلة باسم الله . ولو وجد رد فعل سلبي سيقول في نفسه (هؤلاء ليسوا وجه نعمة فأنا أتمنى لهم الخير وأدفعهم الى دخول الجنة وهم يريدون دخول النار) . لدى البعض تجليات خاصة مع الله تعطيه شعور بأنه من رجال الله وأحبائه وقد يشعر احيانا أنه سيف الله ورمحه . مما يجعله يبرر لنفسه الكثير من السلوكيات الغير مقبولة وحين يعاتب عليها سرعان ما سيقحم الله فيها ليبرر فعله . بعض المؤمنين يشعرون أنهم اوصياء على الناس ومن حقهم سلب أرادتهم وتحقيرهم وسبب ذلك هو شعور داخلي بالأفضلية والسمو والرفعة لأن علاقته الأجتماعية مع الاخر مبنية على اساس أنه متصل بالسماء والاخر منكب على الارض .

يقول الكاتب حسن أبراهيم أحمد :

مجتمع المؤمنين لا يجد سنده ومبرراته في الواقع المعاش من قبل جمهور الناس الاخرين ، بل يجده في القوى المتعالية ، قوى الغيب ، قوى الفوق ، المتحكمة بقوى التحت ، والمؤمن لا يرضيه قال فلان الكاتب او الأديب أو المفكر أو العالم ، بل يرضيه قال الله أو أحد أنبيائه أو احد أوليائه ، أو أحد أفراد السلالات المقدسة المتناسلة عبر الايام . أذن المشروعية الفكرية والثقافية للعقل الايماني ليست راضية بل مرتبطة بقوى السماء الموجهة لقوى الارض وبالتالي هي أعلى منها رتبة ، وكلما علت مرتبة المرجع الذي يتم الرجوع اليه كلما علا مكان وموقع المرتبطين به . التعالي ياتي من الارتباط بقوى فوق الطبيعية وتمثيل هذه القوى في ارض الواقع .(3)

قد يصل أحدهم الى مركز مسؤولية مرموق بسبب أنتمائه لحزب معين أو بسبب قرابته من سياسي معروف أو بسبب أجتهاده فيشعره ذلك بانه محاط بعناية السماء فيفسر حصوله على المنصب على أنه توفيق ألهي مرة وأختبار ألهي مرة أخرى وفي كلتا الحالتين المحور في حصوله على المنصب هو السماء . قبل فترة تم تقديم طلب صرف مكافئات لمجموعة من الموظفين في احدى الوزارات فكان جواب الوزير (لا يصرف سحت وحرام) والواقع يقول ان ليس هناك مفردة سحت وحرام في القانون . هناك مفردات قانونية دارجة وليس مفردات فقهية . ولا نعلم ان كان الموظفين يستحقون المكافأة أم لا وفي كل الأحوال جواب الوزير دلالة على شعوره بانه يمثل الله في الوزارة . وهذا الشعور ليس له اساس على ارض الواقع . فالوزير يمثل القانون ولا يمثل الله .

لا يخصنا مستوى علاقة المسؤول مع الله ولا يخصنا تجلياته مع الله ولا يخصنا بكائه عند الدعاء ولا يخصنا ان كان يصلي صلاة الليل ويصوم



في تموز . ما يخصنا هو مدى ألتزامه بمفردات القانون اللفظية والأجرائية . ما يخصنا هو العدالة الاجتماعية ووصول الحق لأهله وأنصاف الناس . لا يخصنا بشيء ان كان هذا الانسان مسدد من الله أو باء بغضب من الله . وهناك وزراء وصلوا الى مناصبهم وليس لديهم أي علاقة تذكر مع الله .

بعض المتدينين لا يطيقون أن يقول أحدهم (الدين امر شخصي) لأنهم لا يؤمنون بالحرية الشخصية ويؤمنون بوجوب ان يكون الجميع مطابقين لهم وهذه المطابقة يحكم عليها من الشكل الظاهري للاخرين . وغالبا ما تكون المزاجية هي الفيصل في انفعال أحدهم لأجل الدين فقد تجده ينفعل ويصرخ بطريقة غريبة حين يجد شاب قام بوشم كتفه لكنه يخرس حين يرى منافق يحاول أستغلال الدين لأسباب سياسية أو مصلحية شخصية . لأنه بأختصار لا يخدش شكل المجتمع الظاهري .

التكبر الألحادي

- حسنا يا سيدي ... أنت تؤمن بوجود الله
أجاب رجل الدين بصوت خفيض :
- أجل أنا اؤمن
قال الملحد في أبتسامة الواثق من نفسه :
- وأنت توافق أيضا على أن محيط الأرض 28000 ميل اليس كذلك؟
- من غير شك .
- أرجوك أذن أن تخبرني عن حجم الهك وأين يمكن أن يوجد .
- حسنا أذا صدق ظننا فأنه يقيم في قلبينا نحن الأثنين .
- (أجاب الملحد) كفى كفى لا تحسبني طفلا ! وأعتصم رجل الدين بصمت متضع .(4)

حصلت هذه المحاورة أمام المهاتما غاندي اثناء حضوره جنازة أحد الملحدين البارزين وحضر فيها جمهرة كبيرة من الناس وعدد قليل من رجال الدين ليؤدوا واجب الأحترام الاخير . وبعد دفن الجنازة وأثناء أنتظار القطار جرى الحوار السابق بين رجل دين وملحد متحمس كما يصفه غاندي . ويقول غاندي أن هذه المحاورة زادته كرها للالحاد .

السبب الرئيسي الذي جعل غاندي ينفر من الالحاد الذي كان قد تأثر به في ايام شبابه الاولى هو غرور وأستعلاء الملحد في طريقة محاورته لرجل الدين . ويبدو أن نسبة من المحلدين المعاصرين يتصفون بنفس الصفة .

أن السبب الذي يجعل العقل الألحادي يميل الى التكبر والغرور في التعامل مع الاخر أحيانا هو الأيمان بفكرة ان منبع الالحاد هو أحترام العقل وأحترام العلم وعدم الايمان بالخرافات . لذلك يشعر الملحد بانه

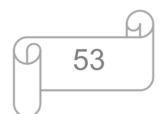
مميز ويملك عقل أكثر رجاحة من عقل الاخر . فالاخر يؤمن بوجود ملائكة وشياطين لا يوجد دليل واحد على وجودها حسب رأي الملحد . والاخر يؤمن أن قراءة بعض الكلمات من القران قد تحميه . والاخر يؤمن أن هناك حياة أخرى بعد الموت . ومن يؤمن بهكذا أفكار هو في الواقع يغيب عقله (في نظر الملحد) . لذلك يجد الملحد نفسه عبارة عن أنسان تمكن من أيقاد شعلة التفكير في عقله وتجاوز حاجز الممنوع في التفكير مما يعطيه شعور بالتفوق والتميز عن البقية . والمشكلة ليست في الشعور بالتفوق بل في التعامل مع الاخر من منطلق هذا الشعور .

حين يجري حوار مفتوح دون قيود بين مؤمن وملحد من تلك النسبة التي تتعامل بكبرياء وأستعلاء . قد تجد أن الحوار سيتسم بالتفاخر . فسيتفاخر المؤمن بنعمة الايمان ورجاحة العقل وحسن العاقبة وسيتفاخر الملحد بالجراة في التفكير دون قيود والأيمان بالعقل والعلم والنظريات العلمية التي تدعم الالحاد . كلاهما يشعر بأن الاخر خاوي وليس على شيء.

التكبر الايماني منبعه الشعور بالسمو لمتانة علاقة المؤمن بالله التي تجعله يترفع عن الاخرين . والتكبر الالحادي منبعه الشعور بالسمو العقلي والأيمان بالعلم والابتعاد عن الخرافات التي تسيطر على الاخر ولا يستطيع تجاوزها .

قبل فترة كان يتحدث احد الأصدقاء من العلمانيين المؤمنين عن الخطب الدينية فقال : (أن هؤلاء جهلة ولن تقوم لهم قائمة) . يبدو أن هناك الكثير في مجتمعنا يدعون الديمقراطية وقبول الاخر لكنهم ليس لديهم قدرة على أحترام عقل الاخر وتفهمه .

الأستعلاء على الاخر واتهامه بالغباء والجهل هو تصرف بعيد عن العقل الديمقراطي وبعيد عن المدنية والتحضر . فالمحاضرة الدينية هي



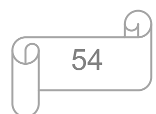
بالنسبة لمن يحضروها قيمة عليا ولحضات تجلي مع الله يجب أحترامها طالما أنها لا تؤثر على الاخر ولا تلغيه .

من الغريب أن نجد ان نسبة من الملحدين والعلمانيين المؤمنين يتقبلون أي شيء يصدر من الغرب مثل مهرجان الطماطم في اسبانيا او مصارعة الثيران . أو غيرها من الثقافات الغربية . لكنه لا يتقبل أي شيء من مجتمعه . لأنه باختصار يشعر بعقدة نقص من مجتمعه . يشعر بخزي غير مبرر من سلوكيات المجتمع وشعائره الدينية .

ليس من حق أي أنسان أن يتهم مجتمع كامل بالجهل طالما ان ممارسات هذا المجتمع لا تؤدي الى ألغاء الاخر أو ايذائه . الجهل كل الجهل يكمن في عدم تفهم الاخر وعدم أحترام عقله .

قد تأتي نظرية علمية حديثة تلغي نظرية قبلها كان الملحد يستند عليها في أثبات ما يؤمن به أو ما لا يؤمن به . كل النظريات العلمية قابلة للنقاش ومحل نزاع بين العلماء والعقل نسبي وأحكامه نسبية ومن يقول غير ذلك يضحك على نفسه . فما كنت اؤمن به قبل عشر سنوات أشعر الان أنه قمة في الغباء . وقد أقول نفس الشيء بعد عشر سنوات عن أفكاري الان . من الممكن أن تضحك على عقلي خدعة ساحر يجعلني ارى ما فعله حقيقة لا تقبل الشك لكنها خدعة وخفة يد . العقل غير مأمون الجانب وأحكامه نسبية . ولا يجب أن يدفعك أيمانك بفكرة تجدها مطلقة الى الغرور . فقد تتغير قناعتك بعد أطلاعك على فكرة أخرى . كل العقول يجب ان تحترم مهما كان ما تؤمن به يبدو مثير للسخرية . فهو لا يثير السخرية في نظر المقتنعين به .

أكثر ما يميز الشعوب السامية هو احترام عقول الاخرين وقناعاتهم وأفكارهم . الجدير بأصحاب الفكر العلماني والليبرالي الحر أن لا يخجلوا من عقائد قومهم وعاداتهم طالما كانت لا تسلب أرادة الاخرين .



وأذا لم يتمكنوا من أحترام عقول الاخرين فلا فرق بينهم وبين المتشددين الذين يتعاملون بغلظة مع مخالفيهم .

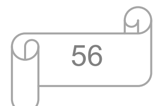
كل العقائد و فلسفات الوجود والافكار والنظريات مختلف عليها . وكل أنسان عليه أن يعلم أن ما يؤمن به مطلق في عقله فقط ونسبي بصورة عامة وقد تتغير قناعته يوما ما . تفهم الاخر وأحترام عقله هو معيار الرقي والتحضر طالما ان أفكار الاخر لا تؤدي الى ألغاء الاخرين . المشكلة ليست في ان يرى الأنسان نفسه أفضل من الاخر فهذا أمر طبيعي . المشكلة هي أن يتعامل مع الاخر من منطلق انه أرفع وأسمى . الواقع يقول ان الأيمان حقيقة واقعة والألحاد حقيقة واقعة ويجب احترام جميع الحقائق .

المصادر:

1- خوارق اللاشعور - علي الوردي – (47-48)
2- خوارق اللاشعور - علي الوردي –47
3- حسن أبراهيم أحمد – العقل الأيماني – 138
4- قصة تجاربي مع الحقيقة – المهاتما غاندي –90 -91

-5-

التجرد والتجديد ... فضل الله وحسن المالكي نموذجين



السنة والشيعة

السنة والشيعة قصة قديمة بدأت في يوما ما منذ زمن طويل ولا زالت مستمرة . لكنها قصة مملة ومضجرة و الحديث عنها وعن تفاصيلها يثير الاعصاب ويوتر الأجواء في كثير من الاحيان وذلك لعمق المشاعر المذهبية وتاصلها وانحياز الفرد لمذهبه الذي يشكل جزء اصيل من شخصيته . المشكلة في الاساس تكمن بوجود تاريخين متوازيين وكل مذهب ينهل من تاريخ يختلف عن الاخر . نعم هناك مشتركات ولا يمكن نكران ذلك لكن هذه المشتركات ليست هي مصدر المشكلة . المشكلة تكمن في الاختلافات حتى لو كان نسبتها10 % . الكتاب المشترك الوحيد الذي يعتمد عليه السنة والشيعة معا هو القران لكنهم يختلفون في تفسير وتأويل الكثير من اياته ولا يوجد كتاب اخرغير القران مشترك للفريقين . فكل مذهب له رجاله وله كتبه . المشتركات موجودة سواء كانت في قراءة التاريخ أو في الفقه او في العقائد لكن كل مذهب له كتبه التي يعتمد عليها ويثق برجالها .

حين يستدل مذهب على المذهب الاخر بادلة تثبت ادعائه من كتب المذهب المخالف فلن تجد دائما من يقول لك (أهاااا أفحمتني لم أكن أدري ان ما تدعيه موجود في كتبي) فالموضوع ليس بهذه البساطة الموضوع أكثر حساسية وأكثر قوة واصالة في كيان الانسان من أن ياتي شخص يقول لاحدهم (ما نقوله عن الشخصية الفلانية من مثالب موجود في مصادركم) .

لو جاء سني الى شيعي وقال له أن ما نقوله عن الموضوع الفلاني وتنكروه موجود في بحار الانوار . ولو جاء شيعي الى سني وقال له أن ما نقوله عن الموضوع الفلاني وتنكروه موجود في صحيح البخاري . لو ذهب وتفحص ووجد ان أدعاء الاخر صحيح فسيبحث عن مخرج من هذا المأزق وأذا لم يجد مخرج فسيقول بكل بساطة:
(هل من المعقول أن يمر أكثر من ألف عام على وجود هذا الحديث في الكتب ولم ينتبه له رجال الدين على مر العصور ؟؟؟ بكل تأكيد مرعليهم ولم يجدوا فيه مثلبة أو منقصة على المذهب وبكل تأكيد له تفسير مختلف عن الظاهر. وهل يعقل أني أفهم أكثرمن الاف الشيوخ الذين مرعليهم هذا الحديث وسكتوا عنه؟؟؟ قطعا لا . بكل تاكيد هناك مخرج وألا لكان رجال الدين توقفوا عنده واعادوا النظر في اعتناقهم للمذهب . فهم طلاب حقيقة وصادقين مع أنفسهم وليس من المعقول ان يشاهدوا مثلبة على المذهب ويسكتوا عنها)

قلة قليلة هم من يعيدون النظر بشكل مجرد وصادق بما يعتقدون به دون الاتكاء على أستنتاجات وتأويلات رجال الدين . المشكلة تكمن في ان المذهب جزء اساسي من الهوية الذاتية للأنسان ويحاول دائما الأنتصار له بشتى السبل ومن الصعوبة بمكان التجرد من العاطفة المذهبية والبحث بتجرد وصدق مع الذات.المعظلة الكبرى هي في القراءة المختلفة للأحداث التاريخية . فكل مذهب له قراءة مختلفة عن المذهب الاخر ومثال على ذلك لنأخذ شخصية محورية وهي شخصية الخليفة عمر أبن الخطاب فهو في التاريخ السني من رجال الله ومن أصحاب النبي المخلصين والخليفة الثاني المعروف بالعدل والمعروف بالبساطة والتواضع . لكن في التاريخ الشيعي الصورة مختلفة تماما فهناك عمر

اخر فهو مغتصب الخلافة وقائد المؤامرة . المشكلة عويصة فليس ذنب السني أنه وجد في تاريخه أن عمر الخليفة العادل وليس ذنب الشيعي أنه وجد في تاريخه ان عمر هو الخليفة الذي أغتصب الخلافة.

كلا منهما وصف له تاريخه عمر مختلف تماما عن الاخر لذلك التصادم مؤكد وحتمي لو كان النقاش يدور حول شخصية الخليفة عمر أبن الخطاب . قد يعتقد الشيعي أن السني يعلم علم اليقين أن عمر هجم على دار الامام علي وكسر ضلع السيدة الزهراء لكنه يحبه وغير مكترث لما فعله وقد يعتقد السني أن الشيعي يعلم علم اليقين أن عمر هو خليفة الله ورسوله ويعلم أنه مخلص للدين لكنه يكرهه لشخصه . المشكلة معقدة فحتى لو جاء الشيعي بدليل من كتب السنة يثبت فيه مثلبة على عمر وبالدليل القاطع فسيجد ان هناك مليون تأويل وتفسير يجعلها تبدو منقبة ولو جاء السني بدليل من كتب الشيعة يثبت منقبة لعمر فسيجد هناك مليون تاويل وتفسير يجعلها تبدو مثلبة . هناك خطوط عريضة رسمتها أمهات الكتب لدى الفريقين لهكذا شخصيات ولا يمكن أن تنسف هذه الصورة مجموعة من الروايات أو الاحاديث المناقضة لهذه الصورة .لا نتحدث هنا عن الحقيقة أين هي ومع من . نتحدث هنا عن التعايش السلمي وفهم الاخر وتفهمه . الطرفان يمثلان وجه من وجوه الحقيقة . فالشيعي جاء لهذه الحياة ليجد نفسه شيعيا والسني جاء لهذه الحياة ليجد نفسه سنيا . ولو أخذنا طفل مولود حديثا في مدينة كربلاء وأعطيناه لعائلة سنية تعيش في سامراء لاصبح سنيا ولو أخذنا طفل من مدينة سامراء وأعطيناه لعائلة تعيش في كربلاء لأصبح شيعيا . قلة قليلة هم من يبحثون بتجرد ويختارون طريق اخر غير الطريق الذي وجدوا مجتمعهم يسير عليه .

المستبصرين والمهتدين

الحوارات العقائدية التي تجري في القنوات الفضائية أو في الانترنت بين السنة والشيعة هي في الواقع تجري بين السلفيين الذين يتحدثون باسم السنة وبين الشيعة . وقلما تجد مناظرة بين سنة وشيعة . معظم المناظرات تجري بين سلفي وشيعي . وتمكن السلفيين بدهاء من اكتساح الساحة وكسب جمهور السنة وتعريف أنفسهم على أساس أنهم سنة . ويتجنبون دائما الحديث عن المواضيع التي تبين مدى أختلافهم عن السنة خصوصا في موضوع (ماهية الله) . ويركزون في نقاشاتهم على مواضيع تدغدغ جمهور السنة مثل (الدفاع عن امهات المؤمنين – الدفاع عن الصحابة – الدفاع عن النبي ... وغيرها) ومن خلال ذلك نجحوا في ايهام السنة على انهم سنة مثلهم بل هم ممثلي السنة الحقيقية.

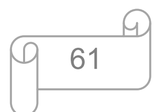
من يتحول من المذهب الشيعي الى المذهب السني يسمى في اصطلاحات التبشيريين السلفيين (مهتدي) ومن يتحول من المذهب السني الى المذهب الشيعي يسمى في أصطلاحات التبشيريين الشيعة (مستبصر) وهو في الواقع يتحول في كل شيء تقريبا كمن خرج من بناية ودخل الى أخرى فهو يلتزم بجميع العقائد التي يتبناها المذهب الاخر ويؤمن بها وفي كثير من الاحيان يلتزم حتى في الجو العام وهذا الاخير يختلف في عالم الأنترنت عنه في الواقع فمجتمع الشيعة مثلا في الحياة الواقعية هناك فيه من ينتقد أيران وينتقد شخصيات دينية شيعية عراقية أو أيرانية وهناك فيه من ينتقد حزب الله أوغير ذلك من المؤسسات الدينية والسياسية الشيعية . لكن في عالم الأنترنت وتحديدا في مواقع وغرف الحوار العقائدي الأمر مختلف فكل ما هو شيعي

مثالي ولا يوجد من يمسه فهناك جو أنحياز كامل لكل ما هو شيعي . وفي الجانب الاخر أيضا في الغرف العقائدية السلفية التي تتحدث باسم السنة نجد أن كل ما هو سني مقدس ومثالي وليس هناك من ينتقده . قد يكون التحول من مذهب الى اخر أمر يحتاج الى تجرد وقوة لكن الامر لن يختلف كثيرا فحين سينتقل الشخص من مذهبه الى المذهب الاخر سينحاز مرة أخرى الى نفسه من خلال أنتصاره لمذهبه الجديد والدفاع عنه .

التجرد والتجديد ... فضل الله وحسن المالكي نموذجين

ما يثير الاهتمام أكثر من ظاهرة المستبصرين والهتدين هي تلك الشخصيات التي تعيد قراءة التاريخ وتعيد قراءة الاحداث ليس بهدف البحث عن المذهب الصحيح والألتزام به وترك المذهب الاول بالكامل بل بهدف البحث المجرد للوصول الى حقائق وتنقية الشوائب الموجودة في الموروث ومحاولة تصحيح المسار والأكثر أثارة للاهتمام هو أكتشافهم حقائق مختلفة عن الشائع مع بقائهم في دائرة المذهب الذي وجدوا أنفسهم عليه اي انهم مجددين في نفس المذهب يمارسون النقد الذاتي بكل تجرد.

وافضل شخصية شيعية يمكن الحديث عنها في هذا المجال هو المرجع اللبناني الراحل محمد حسين فضل الله وأفضل شخصية سنية يمكن



الحديث عنها في هذا المجال هو الباحث السعودي الشيخ حسن فرحان المالكي . والمفارقة أن كليهما تعرضا لهجمة شرسة من ابناء نفس المذهب الذي ينتميان أليه . فليس من السهل أن ياتي باحث سلفي حنبلي ويقول ثبت لي أن معاوية زعيم الفئة الباغية ومن الطبيعي أن يتعرض لهجمة شرسة من رجال الدين والمجتمع الذي اعتاد على أن معاوية كاتب الوحي وخال المؤمنين . وليس من السهل أن يأتي فقيه ومرجع شيعي ويقول بعدم ثبوت الولاية التكوينية والمقصود بالولاية التكوينية هي ان أن الله قد فوض تدبير شؤون الكون أو قسم منه للنبي محمد وآله . وهذا المعتقد يعتبر من المسلمات في التراث الشيعي وحين ياتي فقيه ليقول بعدم ثباتها وانها لا تتناسب مع الدور الحقيقي للنبي والأئمة وهو هداية الناس للخير فبكل تأكيد سيتعرض لهجمة شرسة من رجال الدين والمجتمع على حدا سواء وهذا ما حدث مع السيد محمد حسين فضل الله .

يقول السيد محمد حسين فضل الله ردا على سؤال وجه له حول الولاية التكوينية:

يراد بمصطلح الولاية التكوينية، ما مفاده: أن الله تعالى قد فوض تدبير شؤون الكون أو قسم منها للنبي محمد "ص" وآله "ع". وقد ذهب فريق من العلماء إلى القول بها والإعتقاد بصحتها، فيما ذهب فريق آخر إلى القول ببطلانها، والأقوى عندنا هو القول ببطلانها، وذلك لأن الولاية المذكورة إن كانت تعني أن الله تعالى لا يتدخل في إدارة تلك الشؤون فأوكل أمرها لغيره من الخلق المتميز، كالملائكة والأنبياء والأوصياء، فهم يستقلون في تدبيرها، فذلك هو (التفويض) الذي إتفق علماء الشيعة

على رفضه في إطار ردهم على من قال بذلك من فرقة المعتزلة، وحينئذ فإن كل ما يقال في إثبات بطلان التفويض هو مما يمكن قوله لإثبات الولاية التكوينية. وأما إذا كان مرادهم بالولاية التكوينية معنى آخر غير التفويض، وهو أنه تعالى قد شرّفهم فأوكل إليهم إدارة تلك الشؤون، رغم كونه تعالى هو المدبر الحقيقي والمهيمن الأوحد، فإننا نقول حيث أن دورهم صلوات الله تعالى عليهم أجمعين، هو هداية الناس وقيادتهم نحو الخير فإن ما عدا ذلك من شؤون هذا الوجود لا يتناسب مع دورهم المذكور. (1)

أما بخصوص رأي حسن فرحان المالكي بمعاوية فيقول في هذا المجال:

وكذلك معاوية كان من اهل البغي بالنص المتواتر والبغي هو الظلم وقد جاءت الدلائل الكثيرة والقرائن العديدة على رضاه بهذا البغي واصراره عليه وأتيانه بلوازمه وهذا مما بسطه أهل الأخبار وله دلائل من الاحاديث النبوية الصحيحة التي فيها ذم للملك العضوض والعضوض هو الظالم وفيها تخصيص لمعاوية على الارجح بأنه أول من يغير سنة النبي أضافة الى رضاه بقتل عمار وقاتله وسالبه في النار . (2)

المفارقة المثيرة للاهتمام في هذين الباحثين هي أن المالكي خرج عن المألوف السني وأثبت حادثة الهجوم على دار الامام علي وفاطمة الزهراء في عهد الخليفة ابو بكر الصديق وفضل الله خرج عن المالوف الشيعي و توقف عند الكثير من التفصيلات المتأصلة في التراث الشيعي في هذه الحادثة مثل احراق الدار وضرب الزهراء ولطم خدها وكسر

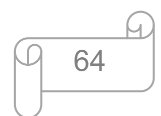
ضلعها واسقاط جنينها مع انه يثبت الهجوم على الدار والتهديد باحراقه.

يقول السيد محمد حسين فضل الله في رده على سؤال وجه له حول ملابسات قضية الزهراء:

لقد ذكرنا في بعض كلماتنا وفي صدد الكلام على ظلامات الزهراء (ع) من حيث المبدأ والذي تعرضت له بعد وفاة أبيها (ع)وقلنا في سياق الحديث: "وهذه الظلامات رواها السنة والشيعة، ولا نجازف إذا قلنا إن الروايات التي تتحدث عن مظلوميتها متضافرة ومستفيضة، بل تكاد تكون متواترة. ومع ذلك ذكرنا في موضع آخر، أن هناك بعض الحوادث التي تعرضت لها مما لم تتأكد لنا بشكل قاطع وجازم، كما في مسألة حرق الدار فعلاً، وكسر الضلع وإسقاط الجنين ولطم خدها وضربها.. ونحو ذلك مما نقل إلينا من خلال روايات يمكن طرح بعض علامات الاستفهام حولها إما من ناحية السند وإما من ناحية المتن. والمراد من حاصل كلامنا، أن الروايات التي تحدثت عن ظلاماتها كثيرة، وقد تكون متواترة من حيث مجموعها لا من حيث كل مفردة من مفردات الحوادث الفردية.. ومع ذلك لو نظرنا الى كل مسألة، فقد يكون هناك روايات معتبرة فنأخذ بها وقد يكون الأمر بالعكس . (3)

ويقول الشيخ حسن فرحان المالكي في معرض حديثه عن الخلافة وتحديدا بعد وفاة الخليفة أبو بكر الصديق:

حزب علي كان أقل عند بيعة عمر منه عند بيعة أبي بكر الصديق نظراً لتفرقهم الأول عن علي بسبب مداهمة بيت فاطمة في أول عهد

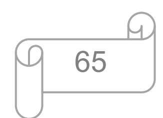


أبي بكر وإكراه بعض الصحابة الذين كانوا مع علي على بيعة أبي بكر فكانت لهذه الخصومة والمداهمة (وهي ثابتة بأسانيد صحيحة) ذكرى مؤلمة لا يحبون تكرارها ... كنت أظن أن المداهمة مكذوبة لا تصح حتى وجدت لها أسانيد قوية منها ما أخرجه أبن أبي شيبة في المصنف بسند صحيح عن أسلم مولى عمر وفير ذلك . لكن ليس كما يبالغ غلاة الشيعة ليس كما ينفي غلاة الحنابلة . (4)

فضل الله و قبول الاخر

أما بخصوص اللغة التي يتعامل بها كلا الرجلين مع الاخر فكلاهما أختارا لغة هادئة بعيدة عن المفردات التي تنفر الاخر وتجرح مشاعره ومثال على ذلك حين وجه سؤال للسيد فضل الله عن كتابة أحدهم لمقال يحمل عنوان جارح ومؤلم لمشاعر السنة و يتهجم فيه على السيدة عائشة بمفردات غير مقبولة أخلاقيا أجاب:

إننا نستنكر ونشجب ونرفض هذا الاسلوب الشائن في الحديث عن السيدة عائشة أم المؤمنين زوج النبي محمد (ص) الذي يمثل الإساءة الى بيت النبي (ص) واكتفي بالرد على ذلك بما جاء في قصيدة لأحد العلماء القدامى وهو السيد محمد باقر حجة الإسلام (فيا حميرا سبك محرم لأجل عين ألف عين تكرم) هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن هذا الكلام يؤدي الى الفتنة بين المسلمين والى إثارة الحساسيات المذهبية التي تؤدي الى اسقاط الوحدة التي هي الأساس لقوتهم وعزتهم .(5)



أما عن رايه في موضوع لعن الصحابة فيقول :

لا يجوز لعن المسلم وإن خالفنا في التفكير او المذهب كما ان لعن الصحابة باسمائهم غير جائز ولا بأس بلعن الظالمين بشكل عام .(6)

وعن المشاحنات الطائفية وطريقة التعاطي معها يقول السيد محمد حسين فضل الله:

لن يأتي يوم يخلو فيه مجتمعنا من الخلافات المذهبية، كما وان العصبية ستبقى في نفوس الأفراد بدرجات متفاوتة، المهم ان يسعى المصلحون ليجعلوا التضامن على الهم الإسلامي مطلباً للأمة بغض النظر عن انتماءاتها المذهبية، وهو أمر يحصل عند كل خطب عظيم بطريقة عفوية ناتجة من البحث والتعلق بأسباب القوة أينما كانت لمواجهة المصيبة، غير أن علينا ان نعمل لنجعل المودة والتعاون على قضايانا واجباً في ظل خلافاتنا المذهبية، كي لا يستقر في النفوس أن الوحدة الاسلامية تتعارض مع إجتهادات المذاهب وتنوع آرائها، وأن هدف الوحدة هو إزالة هذه الفوارق وإلغاء المذاهب... الخلاف إنما يكون رحمة إذا كان خاضعاً للأساليب العلمية والتي يحرص عندها الجميع الوصول الى الحقيقة من خلال الحوار والتلاقي، وأما إذا كان الخلاف يؤدي الى التنابذ والتناحر وتكفير بعضنا بعضاً، فهو وبال على الجميع كما هو المشاهد في هذه العصور .(7)

حسن المالكي وقبول الاخر

في مجال (قبول الاخر وتفهمه) كتب الشيخ حسن فرحان المالكي مقال يحمل عنوان (التفريق بين الشيعة والسنة) أجد من المناسب نقله كاملا ويقول فيه :

نظرا للضخ المذهبي في التفريق بين السنة والشيعة وحثهم على العنف حتى في المجتمع الواحد، فمن واجبي أن أدعوا الفريقين لفهم بعضهما. وبما أنني سنّي حرّ شاء من شاء وأبى من أبى، فمن واجبي ألا أصب الزيت على النار، وإنما أسهم في تفهيم أهل مذهبي: من هم الشيعة؟ ويجب فصل الموضوع السياسي عن الفكري حتى يبقى الحد الأدنى من الوحدة الوطنية في كل بلد، فسنّة إيران إيرانيون، وشيعة الخليج خليجيون. ولابد أن نتفق أولا على أن الجميع يريد الجنة والنجاة من النار، وأن كل مذهب إنما تمسك في الجملة بأدلة يراها الطريق للهدى. وأن المهم ليس التحلي بالأسماء والألقاب، وإنما ما وقر في القلب من الإيمان وصدقه العمل والله لا يضيع أجر من أحسن عملا، الكل مسلم. وحتى لو كان بعض المسلمين منافقين باطنا، فالنبي عليه السلام لم يحرم المنافقين من حقوق المسلمين كلها، ولنا الظاهر والله يتولى السرائر. وأن ذمّ بعض الصحابة أو تكفيرهم ليس فيه حد شرعي، وإن كان ظلما عظيما، فالحدود الشرعية مقتصرة على جنائيات محدودة جدا من قتل وغيره. ولأن الحقد على الشيعة، وهم أقلية في بلادنا ولحقهم بعض الظلم، فلابد من فهمهم ونشر ثقافة صحيحة عن أصل التشيع. وقد يقول البعض: لكن تكفير الشيعة لأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم جميعا ألا يكفي لتكفيرهم وتبديعهم وبغضهم والبراءة منهم؟ نقول:

أولا: ليس كل الشيعة يكفرون وإنما هم طوائف فمنهم من يقول بالردة الصغرى غيرالمخرجة من الملة والتعميم على الشيعة خطأ .
وثانيا: أننا لن نفهم الشيعة أبدا حتى نعرف أكبر أدلتهم في خلافة علي وإمامته ووصية النبي له فإن صحت فلهم جواب وإن بطلت لهم آخر.ولا يجوز الحكم على فرقة حتى... يتم فهم أدلتهم فهما منصفا حتى يكون حكمك عليهم مما تدين الله به، فحديث الغدير هو دليلهم الأكبر. ولهم أدلة أخرى إلا أن أبلغ أدلتهم على الوصية لعلي هو حديث الغدير ولا أخفيكم أنني قد بحثته زمانا وقلبت النظر في طرقه ومتونه. والحديث للأمانة من أصح الأحاديث بل جزم الذهبي والالباني وغيرهم بتواتره، فاختلاف السنة والشيعة ليس في صحته وإنما في دلالته فما هو؟
يقول الحديث – وأصله في صحيح مسلم- أن النبي ص بعد عودته من حجة الوداع إلى المدينة وقف بالناس عند غدير يسمى (خم) قرب الجحفة، فأمر النبي بإرجاع من سبق وانتظار من تخلف وكنس الدوحات فوق كثيب هناك وبناء منبر وصعد المنبر وخطب في الصحابة قائلا: "أيها الناس أوشك أن أُدعى فأجيب (يعني قرب موته) ٢- وإني قد تركت فيكم الثقلين لن تضلوا ما تمسكتم بهما أبدا ٣- أكبرهما كتاب الله؛ حبل ممدود من السماء إلى الأرض فأوصى بكتاب الله وحث عليه ٤- وأصغرهما عترتي أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي (ثلاثا) ٥- أيها الناس ألست ألى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى يارسول الله ٥- فرفع يد علي وقال: ألا من كنت مولاه فهذا مولاه؛ اللهم وال من والاه وعاد من عاداه."!

هذا هو القدر المتيقن من تلك الخطبة الطويلة وبقيت ألفاظ وزيادات صححها بعض أهل السنة وبقيت زيادات عند الشيعة لم أذكرها والمتفق عليه كاف. فهنا قالت الشيعة بأسرها من أبي ذر والمقداد إلى كمال الحيدري (هذه وصية واضحة صريحة) فالنبي أخبر أنه سيغادر الدنيا، ونقل ولايته لعلي. وأن بعض الصحابة كعمر بن الخطاب فهم هذا المعنى فقام إلى علي قائلا: (هنيئا لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة) وصححها الالباني.

وبحمد الله لي رد على السلفية في الصحابة، وعلى الإمامية في العصمة، وعلى الزيدية في السلطة، وعلى الوهابية في التكفير، ولا أشعر أني أدين لمذهب. فأنت مهما صنفك الناس فليس مهما أهم شئ تصنيف الله لك هل يصنفك في من يخضع وينذل لأوامره ومن يصنفه في المتكبرين! تصنيف الله هو الفيصل. وهنا ستظفر بالفرحة الكبرى يوم تلقاه وتقول: يارب خالفت فيك الجميع حبا لك ولرسولك! وأكلت المذاهب عرضي فأذهب عني الحزن ولا تخزني! بهذا تحقق معنى العبودية وسيعرف المتمذهبون – الذين يتعصبون فقط- أن انتقاءهم من أوامر الله ورسوله ما يحلو لهم، ورفضهم ما يكرهون، ليس عبادة.

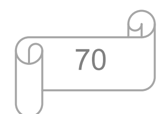
إن الفرق بين الشرك والتوحيد خيط رفيع لا بد من التنبه له ولا تغتر – أخي- بمذهب أو تيار أو رأي عام واطمئن، فستجد عند كل مذهب ما يخرجك منه! عذرا استطردت لأن البرهان وحده لا يكفي لابد من الذكرى لينتفع المؤمنون فأصحاب موسى لم تنقصهم البراهين من شق البحر ونحوه ثم عبدوا العجل! إذاً فالهداية لابد لها من جهاز استقبال

وهو هذا القلب فإذا تعطل جهاز الاستقبال فلا فائدة في قوة الإرسال! هذه معاني دقيقة يهملها المتكبرون.

إذاً فالظاهر حتى الآن، أن حديث الغدير نص صريح، وسيأتي الاعتذار عن الصحابة فلا يشغلنا الاعتذار عنهم عن الإيمان بالنص، فالنص أولى. وليس نص الغدير وحده، وإنما اشتهر لأنه كان في هذا الجمع العظيم وبهذه اللغة الصارمة وفي آخر حياة النبي ولأنها خطبة مودع حقاً. وله شواهد منها حديث الصحيحين: (علي مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) أسألكم بالله لو كان هذا الحديث في أبي بكر ماذا سنقول؟؟ ومنها حديث بريدة (علي وليكم بعدي) صححه الألباني في الجزء الخامس من الصحيحة! لو كان هذا الحديث في أبي بكر ماذا سنقول؟ إذاً فافهموا الشيعة. نعم ورد في أبي بكر أحاديث مضادة لكن ليست في هذه القوة ولا الدلالة. وسيأتي الكلام عليها عندما نطالب الشيعة بفهم أهل السنة.

ويأتي الآن مزيدا من فهم غلاة الشيعة الذين يكفرون أبا بكر وعمر، فقد تكلف ابن تيمية في فهم النواصب والخوارج الذين كفروا علياً أو لعنوه. فالشيعة إذاً لا يكفرون كل الصحابة، وهذا افتراء سلفي عليهم وإنما يكفرون أو يضللون بعضهم، ولكن هذا البعض كبار جدا وخاصة عند أهل السنة.

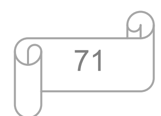
والغريب أن السلفية –صقور السنّة- يتعاملون بازدواجية مع من يلعن علياً، ومن يلعن أبا بكر وعمر، وهذه الازدواجية موجودة عند الشيعة فهل من عذر؟ هذا سنفتحه لاحقاً، المهم هنا أن الشيعة قالوا بأن هناك حجج عقلية في وصية النبي غير الحجج النصية الشرعية التي سقناها



ومن أهمها أن النبي لن يترك أمته هملاً، فإن من حكمة أي حاكم أو حتى شيخ قبيلة أن يبين لشعبه أو قبيلته الوصية والوالي بعده، لا سيما مع احتمال الخصوم...ة، وقد وقعت! والسلفية يباركون وصية أبي بكر لعمر ووصية عمر للستة بل وصية معاوية ليزيد! ويرون هذا من سداد الرأي! فما بالهم يستنكرون وصية النبي؟ إذاً فالذي يستنكر الوصية يجب أن يستنكرها على الجميع، إما أن يقر وصية معاوية لفاسق، ويستكثر على النبي الوصية لمن يحبه الله ورسوله فهذا هوى! ثم هؤلاء الخائفون من الحكم الوراثي نقول لهم ألا تخافون إلا من وراثة إل محمد؟ فمال بال وراثة بني أمية وبني العباس والمماليك والعثمانيين؟ فهذا أيضا من دلائل العصبية، والمخلص لنظريته إذا تجرأ ومررها من فوق رأس النبي عليه الصلاة والسلام فيجب أن يمررها من فوق رأس أبي بكر وعمر ومعاوية! وإلا فلا.

حسن فرحان المالكي - مقال بعنوان (التفريق بين الشيعة والسنة) - زوايا الكتاب والمفكرين – منتديات صح – منتدى الشيخ حسن فرحان المالكي

اقصى درجات تفهم الاخر وألتماس العذر له هو ما وجدناه في كلمات هذا المقال للشيخ حسن المالكي . وهي صورة قلما نراها لدى الباحثين والكتاب والمهتمين لدى المذهبين ولا اعتقد أن هكذا أشخاص بهذه الدرجة من التجرد والتفهم يتكررون كثيرا. وحتى حين يظهرون فهم لا يمثلون أغلبية . لأنهم بكل بساطة ليسوا فقهاء سلطان.



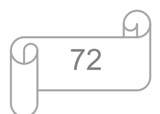
الفقيه الانسان

أفضل تسمية يمكن أن تنطبق على السيد محمد حسين فضل الله هي المرجع الانسان . فأكثر ما يميزه عن غيره من مراجع الشيعة هو أنه قدم نفسه للجمهور كأنسان وليس كمرجع ديني . فهو خارج عن المألوف بين علماء الشيعة . فليس امر طبيعي أن يكون المرجع خطيبا ويكثر الظهور في التلفاز وفي مختلف وسائل الأعلام فهذا امر شاذ عن القاعدة ولم يفعله قبله الا قلة قليلة جدا . محمد حسين فضل الله أنسان لا يعرف لغة التعقيد وغالبا ما يكون كلامه مباشر وواضح وبسيط وغير مثقل بالمفردات التي تعقد الطرح وتحير السامع .فقيه لم يخاطب الناس وهو في برج عاجي بل نزل أليهم وتعامل معهم بشكل مباشر أما بخصوص ارائه فله الكثير من الاراء الشجاعة والجريئة ومثال على ذلك أورد مجموعة من تلك الاراء الفقهية والعقائدية :

سؤال : هل التطبير حلال أم حرام أم جائز مع ذكر السبب ؟

الجواب : التطبير محرم لما يسببه من الضرر الذي يحرم إرتكابه شرعاً بحق النفس أو الغير ولما يستلزمه من الهتك والتوهين للمذهب.(8)

سؤال : هل أئمتنا (ع) كليو الوجود، كليوا العلم، ماذا نقول إذا كان البعض يؤمن بذلك؟



الجواب : ليسوا كذلك بل هم بشر مخلوقون يموتون)إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) (الزمر:30) ويبعثون، ولكنهم وصلوا الى أعلى مراتب الفضل والقرب من الله تعالى وهم حجج الله على خلقه آتاهم الله العلم والحكمة وقد ورد عن الامام علي (ع): (علمني رسول الله (ص) ألف باب من العلم فتح لي من كل باب ألف باب) .(9)

سؤال : في عقائدنا أنّ الامامَ علي عليه السلام هو افضل من الانبياء والرسل السابقين... فما هو راي السيد في هذا الكلام ؟

الجواب : لا داعي للخوض في ذلك ولم نكلف به ، ولا مستند واضح لإثباته.(10)

سؤال : يدعى العديد من الشيعة أن المعصومين(ع)يحضرون جميع مجالس عاشوراء فهل هذا صحيح؟

جواب: ليس ذلك صحيحاً.(11)

ماذا لو كانا يمثلان أغلبية ؟

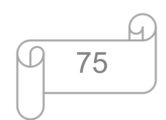
ان حديثنا عن السيد محمد حسين فضل الله وعن الشيخ حسن فرحان المالكي هو حديث عن التجرد والتجديد فالسيد محمد حسين فضل الله شيعي ووافاه الاجل وهو شيعي أثني عشري والشيخ حسن فرحان المالكي سني حنبلي ولا زال كذلك لكن بسبب ارائهما الخارجة عن مألوف هجم عليهما رجال الدين ثم شريحة لا يستهان بها من المجتمع . الحقيقة أن ما يجعل الخط المتوازي بين الشيعة والسنة يصبح متصل حين يكون الحديث عن اي من هذين الرجلين هو انهما عادا الى النقطة التي كان فيها الخطين المتوازيين في بداية أنطلاقهما وهي نقطة الانطلاق واللحظة التي نزل فيها الوحي وما تلاها من لحظات متراكمة وحاولا جهد أمكانهما بذل الجهد الاقصى لتحري الحقيقة والخلاصة انهما تمكنا من التوصل الى حقيقة متشابهة الى اقصى الدرجات فيها تفهم للاخر والتماس العذر له طالما ان هناك مجال لحسن النية وفي نفس الوقت أشارا الى النقاط المعتمة والقاسية بعين النقد المجرد . تخيل لو كان منهج وفكر هذين الرجلين هو السائد والرائج في المجتمعين السني والشيعي كيف سيكون تعاطي المجتمع مع الاخر ؟ ما أتوقعه هو شيوع ثقافة التسامح وتقبل الاخر وتفهمه مهما كان حتى لو كان بوذيا أو هندوسيا . فمن كان منهجه التسامح وتفهم الاخر لن يكون الا كذلك حتى مع المنتمين لأديان أخرى أو حتى الملحدين الذين لا يؤمنون بوجود الله . فهكذا منهج لا يواجه الفكر الا بالفكر ولا يواجه الكلمة ألا بكلمة مثلها.

يقول السيد محمد حسين فضل الله:

مشكلتي أنني كنت ولا أزال مع الأمة الواحدة، {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ}(الأنبياء/92)، لذلك، فإني مسلمٌ، لست سنّياً بالمعنى العصبي، ولست شيعيّاً بالمعنى العصبي، أنا مسلم في خط أهل البيت (عليهم السلام) الذي يمثل الخط الإسلامي الأصيل البعيد عن الخرافيين والمتخلفين الذي يحاولون إقحام الخرافة والغلوّ في منهج أهل البيت(ع)، ومنهج أهل البيت بريء من ذلك... التعصب المذموم هو أن يرى الإنسان سيئات من يحب حسنات وخطأه صواباً ونحو ذلك، وأما الالتزام المبني على متابعة الحق من خلال أهله بعد التأكد من ذلك فلا يكون مذموماً. إن المطلوب هو أن نكون ملتزمين بما نؤمن به من دون أن ننكر على الآخر التزامه بما يخالفنا، ليكون الحل بيننا وبينه بالحوار، لا أن نكون متعصبين، أي منغلقين على أنفسنا.(12)

ويقول الشيخ حسن فرحان المالكي :

ليس هناك أي خطأ أو تناقض أن يقوم مسلم بنقد اخطاء المسلمين لأن الأسلام غير المسلمين ومن ذلك ان يقوم سني بنقد أخطاء أهل السنة لأن السنة غير أهل السنة ومن ذلك أن يقوم حنبلي – النشاة والتعليم والالتزام الواعي غير المتعصب – بنقد أخطاء الحنابلة لأن الحنابلة غير أحمد أبن حنبل مع أن احمد أبن حنبل نفسه بشر يخطأ ويصيب وهو الذي حث اتباعه على ترك التقليد .(13)



الواقع يختلف عن التمنيات فالشيخ حسن فرحان المالكي متهم من شريحة من المجتمع (رجال دين وعوام) بأنه شيعي مرة وأنه زيدي مرة وأنه نصيري ووو ألخ من التهم ومع ان الرجل بين اكثر من مرة على أنه سني لكن هذه الشريحة تصر على تحديد هوية الاخر بنفسها . فعلا امر عجيب!أذا كان الرجل يعرف نفسه على انه سني ما هو الداعي على الاصرار على أنه رافضي مرة وزيدي مرة وألخ من الانتماءات التي لا يجدها الرجل تهمة اصلا كونه يحترم الاختلاف لكنه في نفس الوقت لا ينتمي اليها ؟؟؟ أقصى درجات رفض الاخر هي أن تجعل اسماء المذاهب الاخرى مسبة تجاه أبناء نفس مذهبك حين يختلفون عنك بشيء لا يروق لك.

أما السيد محمد حسين فضل الله فقبل وفاته كان متهما من قبل شريحة من المجتمع (رجال دين وعوام) بأنه يحابي أهل السنة مرة وأنه بتري(يوالي أهل البيت ولا يتبرأ من اعدائهم) مرة اخرى . أتهمه بعض رجال الدين بانه ظال مظل . وحتى بعد وفاته وجدت من يذمه بل الاكثر من ذلك أن الشيخ ياسر الحبيب وهو رجل دين شيعي معروف بارائه المتطرفة والمتعصبة والمنفرة حتى للشيعة أنفسهم يقول بمناسبة وفاة فضل الله :

نتقدم إلى مولانا صاحب العصر والزمان (عليه السلام) بالتهاني والتبريكات لهلاك هذا البتري المبتدع الذي طالما آذى قلب الصديقة الزهراء صلوات الله عليها. ونسأل الله تعالى أن يكون هلاكه بداية لمرحلة تنقية الأجواء الإسلامية من السموم التي بثها فيها. والمأمول من

المؤمنين الدعاء بأن يضاعف الله تعالى عذابه ويحشره مع أبي بكر وعمر وعائشة.(14)

أذا كانت هذه هي طريقة التعاطي مع الاخر المختلف في نفس المذهب فما بالك في الاخر الذي ينتمي لمذهب مختلف ؟ أنه أمر محبط فعلا لكن ما يقلل الاحباط هو ان ياسر الحبيب غير مقبول لدى معظم الشيعة من رجال دين وعامة.

يبدو أن الوصول الى مرحلة متقدمة في تفهم الاخر وقبوله ومواجهة الكلمة بكلمة مثلها بكل هدوء وتروي امر يحتاج الى مدة زمنية غير قليلة والى أكثر من فضل الله في الساحة الشيعية وأكثر من حسن فرحان المالكي في الساحة السنية والى نفس طويل وقدرة على الاستمرار أمام المحبطات وما اكثرها . وكل ما سبق يحتاج الى تطور اجتماعي في جميع المجالات وهذا الاخير يحتاج الى وقت طويل نسبيا . لا نريد أن نكون متشائمين ولا نريد بنفس الوقت ان نكون مفرطين في التفائل . الزمن امامنا وهو كفيل في الاجابه على ما يدورفي مخيلتنا من تمنيات وتوقعات وليس لدينا الا الأمل والرجاء في أن تشيع في يوما ما ثقافة قبول الاخر وتفهمه ومواجهته بالفكر .

المصادر

1- موقع بينات – الموقع الرسمي للسيد محمد حسين فضل الله – الاستفتاءات

2- مع الشيخ عبد الله السعد في الصحبة والصحابة – الشيخ حسن فرحان المالكي – صفحة 160

3- موقع بينات – الموقع الرسمي للسيد محمد حسين فضل الله – الاستفتاءات

4- قراءة في كتب العقيدة المذهب الحنبلي نموذجا – الشيخ حسن فرحان المالكي - صفحة 46 – ملاحظة : الجزء الثاني من الكلام والذي يبدأ ب (- كنت اظن أن المداهمة غير صحيحة ... ألخ- في هوامش نفس الصفحة)

5- موقع بينات – الموقع الرسمي للسيد محمد حسين فضل الله – الاستفتاءات

6- موقع بينات – الموقع الرسمي للسيد محمد حسين فضل الله – الاستفتاءات

7- موقع بينات – الموقع الرسمي للسيد محمد حسين فضل الله – الاستفتاءات

8- موقع بينات – الموقع الرسمي للسيد محمد حسين فضل الله – الاستفتاءات

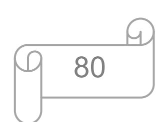
9- موقع بينات – الموقع الرسمي للسيد محمد حسين فضل الله – الاستفتاءات

10- موقع بينات – الموقع الرسمي للسيد محمد حسين فضل الله – الاستفتاءات

11- موقع بينات – الموقع الرسمي للسيد محمد حسين فضل الله – الاستفتاءات
12- موقع بينات – الموقع الرسمي للسيد محمد حسين فضل الله – الاستفتاءات
13- قراءة في كتب العقائد المذهب الحنبلي نموذجا – الشيخ حسن فرحان المالكي – صفحة 14
14- موقع قطرة – الموقع الرسمي للشيخ ياسر الحبيب – الاجابات - مواقف

-6-

الحول الأدراكي



يقول البرفيسور المختص في علم النفس قاسم حسين صالح :

عقلنا العربي - بشكل عام - عقل مصفوفات وقوالب جامدة، يقسم الناس إلى صنفين : (نحن و هم) يرى في ألـ(نحن) المزايا الجميلة والصفات الراقية، فيما يرى في ألـ(هم) ما هو قبيح وسلبي . ويرى في مواقف (نحن) إنها هي الصحيحة وإنها الحق بعينه، فيما يرى في مواقف (هم) إنها الغلط بعينه . والتشخيص النفسي لهذه الحالة، أن هذا العقل مصاب بـ(حول) إدراكي . فحوله الخارجي لا يريه في ألـ(هم) أية صفة إيجابية أو سلوكا مهذبا أو شيئا جميلا . وحوله الداخلي لا يريه في ألـ(نحن) أية صفة سلبية أو سلوكا سخيفا أو موقفا خاطئا . والعلّة في ذلك أن العقل العربي (السلطوي لأسبابه، والشعبي لأسباب مختلفة) متشكل من صور نمطية، أو قوالب إدراكية تتضمن تعميمات ساذجة ذات وجهين : ابيض مشرق جميل بخصوص (نحن) واسود قاتم بخصوص (هم) .(1)

مجرم فاجر أم ملاك طاهر ؟

الشعور بالأنتماء للمذهب وكأنه أنتماء للعشيرة . هذا الانتماء الذي يشعر صاحبه ان أبناء المذهب مهما بدر منهم فهم على الاقل يعتقدون بعقيدة صحيحة ترضي الله . يبدو ان التبرير والانحياز نتيجة طبيعية للأنتماء العصبي للمذهب . لو أنتقدنا شخصية معروفة بشرب دماء العراقيين حد الثمالة أمام أبناء مذهبه كثيرا ما نسمع هذه الجملة تتكرر (لولا وقوف هذا الرجل بوجههم لما أبقوا منا أحد على قيد الحياة) مع أنهم يعلمون أنه قتل أبرياء . الأنحياز للمذهب يجعل فلان الفلاني قمة في الفضيلة وعلان العلاني قمة في الرذيلة وقد يكون الاثنان وجهان لعملة واحدة .

الأنحياز سمة قديمة في المجتمع العراقي ظهرت بوضوح بعد 2003 خصوصا بعد بروز زعماء متعديين (سياسيين ودينيين) يتحدثون بأسم الفئة ومن كل الأتجاهات القومية والدينية والمذهبية .

حين تحدث أحدهم عن جرائم أرتكبت ضد الانسانية بشكل مجرد دون ذكر اسماء سيستنكرها لكن حين تقول له ان السياسي الفلاني (الذي يؤيده هو) مسؤول عن حدوثها ، سيقول لك وبأنفعال : (لا هذا غير صحيح هذه أشاعات من المحتل وأذنابه حتى يشوهون صورته) . أما أذا نسبت نفس الجرائم لسياسي اخر (لا يؤيده ويخالفه في المذهب) سيقول لك : (بالفعل هذا مجرم لعنة الله عليه) وأذا قلت له : (ماذا لو كانت هذه الافعال من فعل مدسوسين من المحتل لتشويه سمعته) لن يتقبل هذا الكلام وسيجده منافي للواقع والعقل لأنه ليس بحق الزعيم الذي يحبه ويؤيده بل بحق زعيم اخر.

ثوار هنا ... خونة هناك

قم بتجربة بسيطة وأدخل الى الغرف الصوتية العقائدية في الأنترنت وتحديدا (الشيعية والسلفية) ستجد ان أكبر غرفة صوتية شيعية تؤيد نظام بشارالأسد وتقف ضد نظام البحرين. أما أكبر غرفة صوتية سلفية فهي تؤيد نظام البحرين وتقف ضد نظام سوريا .الشيعي الذي يؤيد ثورة البحرين والسني الذي يؤيد ثورة سوريا كلاهما يدعي أنه يكره الظلم ويكره تعرض أحدهم للأضطهاد لكنه لا ينظر بعين الانصاف بل ينظر بعين الانحياز للفئة .

من بعثي الى علوي

لا أدري متى تحول بشار الأسد من بعثي الى علوي في ذهنية شريحة من المجتمع الشيعي ؟ وكيف تحول نسبة من الشيعة ممن كانوا يلقون باللوم في جزء مما يحصل في العراق من عنف وأرهاب على سوريا الى مدافعين عن (سوريا العلوية) ؟

أعلم ان بشار الاسد علوي واعلم أنه يعطي لنسبة من العلوين مكانة في الدولة وهذه سنة متبعة لدى حكام حزب البعث فكما ان صدام قرب ابناء قريته منه ، بشار الأسد أيضا قرب نسبة من ابناء مذهبه منه ليس لأنه طائفي بل لأنه يرى العلويين كأبناء عشيرة يستطيع بهم أن يتسلط على عموم الشعب . والواقع ان لا بشار الأسد يهتم لعقائد العلويين ولا صدام حسين يهتم لعقائد السنة لكن المحافظة على السلطة تطلب منهما أتباع سياسة تقوية الاقلية (محل الثقة) على الاغلبية . قد يقول قائل ان حزب البعث السوري غير حزب البعث العراقي . وهذا صحيح جدا لكن لا يوجد فرق بين وليدي ميشيل عفلق كلاهما اخوين شقيقين ورثا نفس الصفات الواراثية ويستخدمان نفس الادوات (سجون – مؤامرات – غدر – خداع – شعارات – أحتفالات بالثورة – تمجيد بالقائد – مخبرين سريين – ووووو.... ألخ)

السعودية صوت المظلومين

لا أدري منذ متى السعودية تدعم الثورات ؟ ومنذ متى تشجع على الخروج على الحاكم الظالم ؟ وكيف وفقت بين قمعها للتظاهرات داخل السعودية ودعمها للثورة السورية ؟ والاكثر من ذلك ان نسبة من السعوديين يتفاعلون مع الثورة السورية ويتحدثون عنها بكل حماس وينتمون اليها

بكل جوارحهم ومشاعرهم . كيف تحول هذا الانسان الذي بنيت أفكاره وعقائده على حرمة الخروج على ولي الامر الى أنسان يدعم الثورة على الحاكم الظالم ويدعم ثوار سوريا بكل قوة ؟

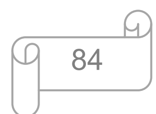
أيران صوت المحرومين

ولا أدري كيف تقوم أيران التي قمعت الثورة الشبابية التي طالبت بالحقوق والحريات بتأييد ثورة البحرين ودعمها ؟ أيران التي أعتقلت رموز الأنتفاضة السلمية وقادتها وقمعت شبابها قبل فترة ليست بالبعيدة اصبحت فجأة (حنينة وشفوقة)على ثوار البحرين وتؤيد حصولهم على حقوقهم .

يقول الأمام علي : (أعرف الحق تعرف أهله) . ومتى ما كان مجتمعنا ينظر الى المذهب على أنه أحد الطرق التي تؤدي الى الله ومتى ما كان المذهب مجرد طريقة للتواصل مع الله ومتى ما أندثر الشعور بالانتماء للمذهب وكأنه انتماء للعشيرة سيكون هناك أمل في أن نعرف الحق ثم نبحث عن أهله .

المصادر :

1- قاسم حسين صالح – الحوار المتمدن – الحول الادراكي – 2007/6/27



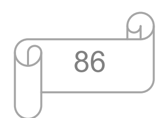
-7-

كيف تمكن السلفيين من أبتلاع السـنة ؟

المشكلة ليست في ان يكون الأنسان سلفي او يختار اي أنتماء اخر فهذا حق مكفول وحرية شخصية فمن حق أي أنسان أن يعتنق المنهج السلفي في حياته الخاصة أو ان يعتنق أي فكر اخر سواء كان فكر أقصائي يحتكر الحقيقة أو فكر يعترف بأحقية الانسان باعتناق حقائق أخرى . المشكلة تكمن حين يتمكن نسبة من أتباع اي فكر أقصائي سواء كان ينطلق من منطلقات دينية أو ينطلق من منطلقات أديولوجية أخرى من تحويل النظريات الاقصائية الى حقيقة واقعة ويمتلكون الأدوات والأجواء التي تمكنهم من أقصاء الاخر وألغائه على أرض الواقع .

السعودية منبع الحركة الوهابية ومنبع المنهج السلفي المعاصر ومنها أنطلق الى جميع أنحاء العالم . تمكن المنهج السلفي في السعودية من تحجيم جميع المدارس المذهبية والفكرية الاسلامية السنية تحديدا من خلال تحدثه باسم السنة وأدعائه أنه الممثل الحقيقي للسنة . وساعد ذلك الحضوة الكبيرة التي يتمتع بها السلفيين من قبل الدولة . لم يكتفي السلفيين من التحدث باسم السنة في السعودية بل أمتدوا الى عالم النت وأحكموا سيطرتهم عليه اما باقي المدارس السنية فصوتها غير مسموع أو سلبية .

جميع الحركات الأرهابية الاسلامية (السنية حصرا) والتي ظهرت في العقدين الاخيرين نتطلق من المنهج السلفي فهو أكثر المدارس الفكرية الأسلامية بثا لثقافة الغاء الاخر . حدثت تغيرات أيجابية في المجتمع السعودي مثل ظهور تيار متنوع التوجهات



يدعو الى قبول الاخر وأحترام افكاره ورأيه الا انه يواجه بهجمة شرسة من فقهاء السلطان ومن المجتمع المتعصب .

أكثر الطرق مثالية في مواجهة التطرف الاسلامي هي من خلال عزل السلفيين عن السنة والتركيز على الخلافات العقائدية بين السنة والسلفية مثل (ماهية الله) وهي النقطة التي يتجنب السلفيين بدهاء النقاش بها أمام عموم السنة لانها تظهر الشرخ الكبير بينهم وبين السنة . فعموم السنة يؤمنون بأن الله لا يحده زمان ولا يحده مكان والسلفيين يؤمنون ان الله في السماء ويثبتون له الصفات الجسدية لكنهم يجملونها بعبارة (ليس كمثله شيء) فقد يقول قائل (نحن نثبت لله ما أثبت لنفسه في القران من صفات لكن ليس كمثله شيء) أي ان أثبات اليد لله لا يعني أنها كيد البشر حسب تفسيرهم بل هي يد تليق بجلاله وهذا التفسير مخالف تماما لعقيدة عموم السنة الذين يؤمنون أن الله لا يحده زمان ولا يحده مكان .

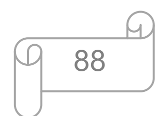
ان أكثر من يستطيع عزل السلفيين عن السنة هي المدارس السنية الأخرى . لأنها باختصار تنطلق من نفس المنطلق ولها قدرة على التأثير بعموم السنة اكثر من المدارس الفكرية التي تنطلق من خارج حدود الاسلام (السني حصرا) . لأن السلفيين لديهم خبرة وقدرة كبيرة على الاطاحة بخصومهم أمام عموم السنة من خلال رسم صور مشوهة عن الاخر تنفر المتلقي السني منه وتجعله لا يكلف نفسه أصلا في الأطلاع على أفكاره وسبب هذا هو العقلية الانحيازية . أي متابع للحوارات العقائدية بين المذاهب يجد ان

السلفيين يتحدثون بأسم السنة ونجحوا في خداع عموم السنة الى حد كبير في تصوير أنفسهم على انهم ممثلي السنة . لو اراد الشعب السعودي التخلص من التطرف فعليه دعم الفكر السني المضاد للفكر السلفي لأنه الوحيد القادر على تحجيمه وأرجاعه الى وضعه الطبيعي .

مواجهة السلفيين بالفكر العلماني أو بفكر مذهبي اخر أو بفكر ديني اخر سيؤدي الى تعاظم قوتهم . لانهم يلعبون على وتر المصطلحات الايحائية التي تدغدغ المشاعر مثل (الدفاع عن الصحابة- الدفاع عن امهات المؤمنين- الدفاع عن سنة النبي – الدفاع عن رسول الله) وهكذا مفردات توحي للمتلقي السني ان هؤلاء سنة مثله وسيقف معهم وهذا ما يحدث مع الاسف الشديد . وهو ما أعطاهم نفوذ وقوة متعاظمة في عالم النت .

يجب على المدارس الأسلامية السنية أن تاخذ زمام المبادرة في اعادة ما سرق منهم من قبل السلفيين ويجب عليهم أن يكونوا واعين لخطورة ما يحصل ويجب عليهم أن يكونوا اكثر فاعلية وذكاء في عرض أفكارهم أمام عموم الناس والوقت قد حان لحملة كبيرة من جميع المدارس الاسلامية المضادة للفكر السلفي لعزله عنهم وأظهار عورته امام الناس .

السبيل الوحيد للتخلص من التطرف هو من خلال تحجيم الفكر السلفي وعزله عن السنة والسبيل الوحيد لتحجيم الفكر السلفي هو



من خلال دعم كل فكر أسلامي سني مضاد له . وهذا ما يجب ان يجمع العلماني والأسلامي الغير سلفي في مركب واحد . ويجب على العلمانيين والأسلاميين من غير السلفيين التفكير في خواتيم الأمور (التخلص من التطرف) ويجب ان يدعم كل فكر أسلامي معتدل مضاد للفكر السلفي . فهو الوحيد القادر على منافسة السلفيين على جمهورهم لانه ينطلق من نفس المنطلقات (الدفاع عن الصحابة – الدفاع عن أمهات المؤمنين – الدفاع عن السنة) .

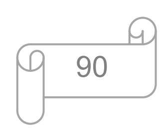
اما المنطلقات الفكرية الأخرى فقد يكون لها تاثير لكنه تأثير ضعيف وللسلفيين قدرة على تجييره لصالحهم من خلال تسقيط الاخر ولا يوجد أسهل من أن يتهم الاخر أنه عابد قبور أو ملحد أو عدو لله ورسوله وهذه التهم التسقيطية بضاعة رائجة لها سوقها . لذلك الفكر السني وحده يملك قدرة على منازعة هؤلاء على نفوذهم في أي مكان كانوا به .

من هذا المنطلق يجب تشجيع المدارس الفكرية الأسلامية الأخرى على مواجهة الفكر السلفي بالحجج والبراهين ويجب دعمهم بكل الطرق لعزل السلفيين عن السنة . دعم هذه المدارس بقوة له علاقة بسياسة الخصم المشترك وهو المنهج السلفي الاقصائي الذي لا يرى الا نفسه . وله علاقة بخلق مجتمع متمدن معتدل يجمعه قبول الاخر وتفهمه .

من الذكاء أن تقوم جميع التيارات الفكرية الدينية والغير دينية في السعودية وخارج السعودية بدعم المدارس السنية المعتدلة التي تواجه الفكر السلفي ومن الغباء وضع المدارس السنية في سلة واحدة مع المنهج السلفي . لأن المستفيد الوحيد من هذه العملية هم السلفيين أنفسهم . كلما قام العلماني او الليبرالي بنقد المدارس الأسلامية الاخرى كلما خلق مشتركات شاخصة بين هذه المدارس وبين السلفيين أما تمييز السلفيين عن باقي المدارس هو ما سيضعفهم .

على المدارس السنية المذهبية والفكرية والعقائدية معقودا الامل في عزل السلفيين عن السنة واعادتهم الى حجمهم الطبيعي . من حق اي أنسان ان يعتنق الفكر السلفي لكن ليس من حقه أن يدعي أنه يمثل جميع المسلمين وليس من حقه ان يلغي الاخر . المشكلة ليست في ان يكون الانسان سلفي فهذا حق مكفول وحرية شخصية بل المشكلة في ان يملك أدوات تمكنه من سلب ارادة الاخرين وألغائهم .

أذا كان هناك من ثورة يجب ان تحدث في السعودية فهي ثورة فكرية مضادة للفكر السلفي وسبيل نجاحها هو أن تنطلق من منطلقات أسلامية سنية ويباركها الجميع على أختلاف توجهاتهم . ومحاصرة الفكر السلفي من جميع السعوديين بجميع توجهاتهم المختلفة سيضعف من مكانة السلفيين في الدولة وسيجعل الدولة أمام امر واقع جديد فيه موازنة أخرى للقوى .



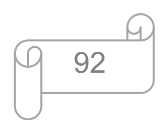
-8-

أتاتورك والخميني الأخوين غير الشقيقين

أعلم جيدا ان العنوان سيستفز نسبة كبيرة من العلمانيين و نسبة كبيرة من الشيعة . العلماني سيقول من الظلم مقارنة أتاتورك الذي ثار على واقع التخلف والظلم وحول تركيا الى دولة مدنية حديثة تنافس الدول الأوربية بالخميني الذي اعاد أيران الى عصور التخلف . وسيقول الشيعي من الظلم مقارنة الامام الخميني الذي وقف ضد الغرب و حول ايران الى دولة اسلامية مؤمنة مطيعة لله ورسوله وترفع راية الايمان بأتاتورك الذي حارب الدين ونشر الفساد والرذيلة في تركيا .

نتحدث عن رجلين مهمين لهما دور كبير في رسم تاريخ المنطقة وقام كل منهما بثورة أسقطت نظام وراثي عمره مئات السنين . تقاسما القرن العشرين فيما بينهما احدهما اخذ ربعه الأول والاخر اخذ ربعه الأخير . قام اتاتورك باسقاط امير المؤمنين في الربع الاول . واعاد جاره الخميني أحياء أمير المؤمنين في الربع الاخير . أتاتورك أسقط الخليفة والخميني نصب نفسه خليفة . جارين لدودين لا يربطهما زمن مشترك لكن يربطهما قرن مشترك كان لكلاهما اثر كبير في رسم صورته . كلا منهما يمتلك طرف من أطرافه ويحاول شده أليه .

كلاهما تصور أنه يملك افكار جميلة ومثالية تجعل المجتمع أكثر سعادة وأكثر تطور. كلاهما أعتقدا ان اكراه شريحة من المجتمع على شيء يشبه أعطاء الطفل دواء السعال فالطفل لا يحب شرب الدواء ويشعره بالأنزعاج لكن الأبوين يجبرانه على تناوله



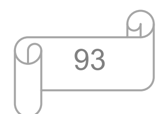
لمصلحته . هكذا كانا يفكران . كلاهما أهتما بالشكليات واعطوها اولوية كبيرة.

منع الحجاب نسبيا في تركيا يقابله فرض الحجاب كليا في أيران . منع لبس الطربوش في تركيا يقابله منع لبس ربطة العنق في أيران . قتل بائعات الجسد في أيران باسم تطبيق الشريعة و قمع من تظاهروا ضد منع الطربوش وقتل عدد منهم باسم العلمانية .

كل واحد منهما حصل على تعاطف شعبي وتأييد من شريحة كبيرة من الشعب وكل واحد منهما أستغل هذا التعاطف ورسخ من خلاله نظام حكمه . الخميني أبن المؤسسة الدينية يقابله أتاتورك أبن المؤسسة العسكرية . كلا منهما كان متحمسا جدا ومستعجلا في تطبيق أفكاره على ارض الواقع وحاول جهد الامكان أختصار الزمن في تحويل شكل المجتمع الى ما يحلم به في مخيلته دون أنتظار حدوث تحول أجتماعي طبيعي .

تحولت أيران الى نظام اسلامي من خلال أستفتاء شعبي لكن هل من حق جيل أن يحدد نظام الحكم لاجيال أخرى ؟ وهل بقي من وافق على نظام الحكم الأسلامي على رأيه لحد الان ؟ في الجانب الاخر لم يقم أتاتورك باي خطوات ديمقراطية وكان يتخذ قراراته بشكل فردي دون الرجوع الى الشعب .

أراد أتاتورك رؤية الأتراك يلبسون القبعة الأوربية بدلا من الطربوش وقام بخطوات تمهيدية لذلك حيث قام هو اولا بارتداء القبعة ثم حرسه الشخصي ثم الجيش التركي ثم تم منع الطربوش بشكل رسمي في عموم



تركيا . وأراد الخميني رؤية النساء الايرانيات يلبسن الحجاب وهذا ما حصل بعد أن أصبح نظام الحكم أسلامي حسب نتيجة الاستفتاء الشعبي . كلاهما يعتقدان أنهما يملكان نظام حكم سحري ومثالي من الممكن أن يستمر مدى الحياة . أتاتورك أبن المؤسسة العسكرية والخميني أبن المؤسسة الدينية . أتاتورك علماني شمولي والخميني أسلامي شمولي . أخوين غير شقيقين من أب واحد وهو الشمولية لكن كل منهما خرج من رحم مختف عن الاخر فهذا من رحم العلمانية وذاك من رحم الاسلام . كلاهما لم يقتربا من الديمقراطية وتجنباها قدر الامكان وكلاهما قاما بالغاء الاخر وقمعه باسم حماية النظام المثالي .

كلاهما أهتما جدا بشكل المجتمع وأهتما جدا بعرض (new look) المجتمع أمام العالم ولغايات مختلفة . فاتاتورك كان يحاول جاهدا تغيير الهوية الشرقية الاسلامية للمجتمع الى هوية اوربية علمانية والخميني كان يحاول جاهدا أثبات أن ايران الأسلامية متمسكة بالأسلام بحذافيره ولا تتأثر بالغرب . قاما برسم صورة المجتمع كما يحلمون بها . لكن لا خلع الطربوش يجعل الانسان علماني ولا خلع ربطة العنق يجعل الانسان أسلامي كل هذه الامور تندرج ضمن الحريات الشخصية وليس لها علاقة لا بالعلمانية ولا بالأسلام . حين يحشر قائد الثورة أنفه في ادق تفاصيل الحياة فهو خلع ثوب الثائر وأرتدى ثوب القائد الشمولي .

من حق الطالبة الجامعية في تركيا لبس الحجاب أثناء الدوام وهذا حق شخصي يندرج ضمن الحرية الشخصية ومن حق الطالبة الجامعية في ايران أن تخلع الحجاب وهذا أيضا حق شخصي ويندرج ضمن الحرية الشخصية . النظام الديمقراطي الحقيقي يضمن للانسان حقه الشخصي

في تحديد خياراته الشخصية . من الديمقراطية أستفتاء الشعب التركي والشعب الأيراني بخصوص الحجاب وفي حال كانت النتيجة 100% تؤيد فرض الحجاب في أيران فلا أعتقد أن هناك داعي لفرضه قانونا كونه رغبة أجتماعية . وأذا كانت النتيجة في تركيا حول منع الحجاب في المؤسسات الحكومية 100% فهذا يعني أنه حالة يريدها المجتمع ويطبقها ذاتيا ولا تحتاج قانون . لكن من المستحيل تحقق نسبة 100 % في أي أستفتاء من هذا النوع لذلك تبقى الحرية الشخصية هي أجمل مفاصل الأنظمة العلمانية الديمقراطية . اما علمانية أتاتورك فهي علمانية أستخدم في تطبيقها سيف الخليفة الذي اسقطه .

تركيا الان دولة علمانية ديمقراطية متمدنة لها ثقل كبير في أوربا والشرق الاوسط لكن ديمقراطيتها منقوصة طالما ان هناك من تسلب أرادته في أرتداء ما يرغب باسم العلمانية وهذا أستغلال للعلمانية يشبه أستغلال الأسلاميين للدين وفيه سلب لأرادة الانسان .

ماذا لو أعيد الان استفتاء الشعب الايراني حول طبيعة نظام الحكم الذي يريده ؟؟؟ ماذا ستكون النتيجة وأي نظام حكم سيختار ؟؟؟ هل سيتمسكون بالنظام الذي لا يراعي الحريات الشخصية لشريحة لا يستهان بها من المجتمع بأسم الدين ؟ أم سيختار نظام حكم اخر يضمن حق المتدين وغير المتدين في التعبير عن نفسه وتحديد خياراته الشخصية ؟

هناك نسبة من النساء الغير محجبات في أيران مجبرات على ارتدائه ومسلوبات الأرادة في هذه الجزئية لكن للأنصاف المرأة في أيران لها مكانة كبيرة واحترام وتقدير كبير في نظر المجتمع وفي نظر القانون . وذلك لأن المرأة الايرانية أيجابية بطبيعتها وليست خانعة ومستسلمة بل أحيانا تشعر ان المرأة في أيران هي من تمسك زمام المبادرة. وهذا واقع رأيته بعيني خلال زيارتي لأيران أكثر من مرة . فالمرأة هناك لها كلمة والرجل هناك مستمع جيد وأحيانا تجده مسالم ومسكين أمام المرأة . و القانون الأيراني ينصف المرأة بل قد يقسو على الرجل أحيانا . على عكس مجتمعنا العربي الذي يميل الى تجيير الدين لمصلحة الرجل وهذه مفارقة جديرة بالأهتمام وتفسيرها متروك لذوي الاختصاص من علماء أجتماع والمثير للاهتمام ان كلا المجتمعين ينطلقان من منطلق التدين . في ظني ان للبداوة والصحراء أثر وبصمة في خلق تركيبة الشخصية العربية .

المصادر :

أنظر-ي :

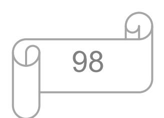
1- **كتاب الذئب الاغبر – ارمسترونج**
2- **موسوعة المعرفة - الثورة الاسلامية في ايران**

-9-

جيفارا يرتجز في الطف

قبل سنوات و في اول أنتخابات جرت في العراق بعد سقوط النظام السابق وتحديدا أثناء الحملة الانتخابية بدأت حملة يقودها نسبة لا يستهان بها من المشايخ في الدعوة لأنتخاب أحدى القوائم تحت شعار نصرة المذهب . فارتقى هؤلاء المنبر وحاولوا جهد أمكانهم ربط المقدسات الدينية وقدسية الفتوى بأنتخاب تلك القائمة . وتفننوا في أختراعاتهم فهذا يقول (من لا ينتخب القائمة الفلانية فليحضر جوابا يوم القيامة) وذاك يقول (من لا ينتخب القائمة الفلانية تحرم عليه زوجته) والأدهى من ذلك هو ذلك الذي قال (أذا تمكنت من التزوير لصالح المذهب فلا تتردد ففي هذا نصرة للمذهب ونحن في معركة مقدسة والتزوير أداة من أدوات الظفر بهذه المعركة) وغير ذلك من فنون نصرة المذهب من خلال أستخدام مبدأ الغاية تبرر الوسيلة . فهذا الشيخ يعلم أن كلامه كذب لكن يريد بشتى الوسائل أن يدفع الناس الى أنتخاب القائمة الاقوى والأكبر والتي تحوي مشروع يتحدث عن مظلومية المذهب ورفع الظلم عن ابنائه . لذلك يجد الكذب على الناس أمر جيد بل يثاب عليه طالما أن النتيجة هي نصرة المذهب ورفع راية الله عالية .

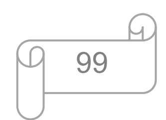
في تلك الفترة كنت أتحدث مع أحد الاشخاص من مؤيدي أستخدام الخطاب الديني بشتى الوسائل لنصرة المذهب ولوصول أشخاص بعينهم للسلطة . فحدثته عن هذا الشيخ الذي أرتقى المنبر الحسيني ليقول للناس (من لا ينتخب القائمة الفلانية فليحضر جوابا يوم القيامة) فقال مدافعا (هذا يعتبر تفنن في الكلام ويدخل من باب الترهيب لنوايا حسنة وهي نصرة المذهب) ثم سالته عن سبب



الترويج لفتوى وجوب أنتخاب قائمة بعينها فقال لي (هناك شريحة من المجتمع وهم هؤلاء البسطاء من الفلاحين والكادحين في المناطق الريفية وغيرها لم ولن ينتخبوا أذا لم يكن هناك وجوب شرعي يجبرهم على ذلك)

تأمل كيف ينظر البعض للناس البسطاء . فهم ينظرون الى الأنسان البسيط نظرة ملؤها الاستعلاء والأحتقار ويعتقدون ان الناس البسطاء من الضروري ان يعاملوا معاملة القطعان وهم لا يعلمون أن الكثير من هؤلاء البسطاء يملكون حكمة وحسن تصرف وأهلية كاملة على الاختيار أكثر من كثير من الأكاديميين الذين يتشدقون على الناس بمصطلحات غريبة وعجيبة ويحاولون جهد الامكان الارتقاء عن الناس العاديين بابراج عاجية وهم لا يعلمون أن البسطاء يروهم بحجمهم الطبيعي ويعرفون حقيقة خوائهم .

قد يكون الترويج لفكرة أن المشاركة في الأنتخابات بصورة عامة أمر يرضي الله ويجب ان يشارك بها المواطن لتحديد مصير الوطن من خلال أختيار أشخاص جيدين يديرون الحكومة أمر لابأس به ومن الجيد أن يروج رجل الدين لهذه الثقافة ، لكن الغير جيد هو أن يروج لقائمة بعينها ولمجموعة من البشر بعينهم فهذا أبشع أستغلال للدين . أمر محبط ومؤلم أن يرتقي المنبر وعاض سلاطين لا يخجلون من الله وبكل بجاحة يحاولون أيصال أشخاص بعينهم للسلطة بأسم القدسية الدينية وبأسم نصرة المذهب

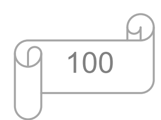


لنرى الان من ينتمي فعلا لثورة سيد الثوارالحسين أبن علي ومن يدعي الأنتماء لها زورا وبهتانا . يقول سيد الشهداء الحسين أبن علي (إِنِّي لا أرَى المَوتَ إلا سَعادةً ، وَالحَياةَ مَع الظالمين إِلاَّ بَرَماً)

من أقرب الى فكر الحسين هل هو من يقول (من لا ينتخب القائمة الفلانية فليحضر جوابا يوم القيامة) أم من يقول : (الطريق مظلم وحالك فإن لم نحترق أنت وأنا فمن سينير الطريق) اما صاحب القول الاول فهو شيخ معمم وصاحب القول الثاني هو الثائر تشي جيفارا .

ترك سيد الثوار الحسين أبن علي فريضة الحج وذهب الى العراق لنصرة المظلومين وقام السياسيين الذين أنتخبهم الكثير من الناس كواجب شرعي بترك العراق يحترق وذهبوا لاداء فريضة الحج عكس ما فعل الحسين أبن علي تماما .

أما جيفارا فبعد أن ساهم في أنجاح الثورة الكوبية وحصل على جنسيتها وتدرج في المناصب الى أن وصل الى منصب وزير صناعة أختفى بشكل مفاجيء وترك رسالة لفيدل كاسترو يستقيل فيها من جميع مناصبه الرسمية ويتنازل عن جنسيته الكوبية ليذهب الى افريقيا وتحديدا الى زائير (الكونغو الديمقراطية) لنصرة الثورة هناك .



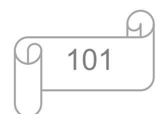
من ينتمي للثورة الحسينية هل هو من يترك البلد يحترق ليتملق الله بفريضة الحج أم من يترك المنصب وكل أمتيازاته لنصرة المستضعفين في قارة أخرى ؟؟؟

قال سيد الاحرار الحسين أبن علي مخاطبا الأحرار من بني البشر بعد أن قتل كل أصحابه وأهل بيته (هل من ناصر ينصرني؟) .
وقال جيفارا (إنني أحس على وجهي بألم كل صفعة توجه إلى كل مظلوم في هذه الدنيا فأينما وجد الظلم فذاك هو وطني) .

من برأيكم سيستجيب لنداء الحسين أبن علي وينصره هل هو ذلك الشيخ الذي يحرص كثيرا على وصول السلاطين للسلطة بأسم حماية المذهب أم جيفارا ؟؟؟
قال الحسين أبن علي مرتجزا (الموت أولى من ركوب العار والعار أولى من دخول النـار) وقال مخاطبا عمر أبن سعد (فهل إلاّ الموت ؟ فمرحباً به) وقال ايضا (موت في عز خير من حياة في ذل)

يقول جيفارا (من شدة حبي سأموت، إن يوما سأموت لا حزنا أو حسرة لكن من شدة حبي !! من شدة حبي لك يا وطني المحتل)

من ينتمي الى فلسفة الحسين أبن علي هل هو ذلك الشيخ الذي قال بجواز التزوير في الانتخابات لنصرة للمذهب أم جيفارا ؟؟؟



في حوار تلفزيوني مع أحد السياسيين وكان الحوار يدور حول بيان للمرجعية يخص الانتخابات وكان البيان يحوي جملة تقول (انتخبوا الاصلح لدينكم ودنياكم) فقال هذا السياسي (المرجعية تقصد الاسلاميين بكل تأكد فمن هو الاصلح للدين هل يعقل أن يكون العلماني ؟؟؟ طبعا لا) هو يتجاهل طبعا بداية البيان التي تبين بكل وضوح عدم دعم المرجعية لأي جهة . ويحاول بكل وقاحة الضحك على الناس .

من أقرب الى فكر الحسين هل هو هذا السياسي الذي يلبس السواد على الحسين في محرم ويتاجر بأسمه في موسم الانتخابات ؟؟؟ أم جيفارا الذي ترك منصب وزير وذهب الى زائير لمناصرة المستضعفين ؟؟؟

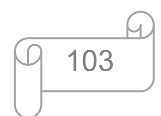
من جاء الحسين لنصرتهم والوقوف معهم لم ينصروه وخذلوه بعد أن كانوا قد ارسلوا له رسائل يدعونه فيها للقدوم . يقول جيفارا (ما يؤلم الإنسان هو أن يموت على يد من يقاتل من أجلهم) من يعيش معاناة الحسين أكثر هل هو هذا المعمم الذي يرتقي المنبر الحسيني ويسرد واقعة كربلاء عن ظهر قلب ثم في النهاية ينزعج ويخرج بوجه مكفهر حين يجد أن الاجور التي اعطوه اياها أقل من التسعيرة . أم جيفارا الذي لا يعرف شيء عن واقعة كربلاء ؟؟؟

في يوم عاشوراء وحين طلب جيش الكوفة من الحسين أن يستسلم أجابهم (لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر لكم إقرار العبيد) فقاتلهم ومعه اصحابه وأهل بيته فقتلوا جميعا وكان الحسين اخر من قتل . كان عدد الجنود في جيش يزيد لا يقل عن 30000 مقاتل وعدد الجنود في جيش الحسين لا يزيد عن 150 مقاتل من صحبه واهل بيته مجتمعين .

توجه جيفارا الى بوليفيا لمساندة الثورة هناك لكن النتائج لم تكن كما يتوقع وتمت مهاجمته من قبل الجيش البوليفي هو وجماعته الذين يبلغ عددهم 16 مقاتل بقوة عددها 1500 مقاتل . استمرت المواجهة ساعات طويلة فقتل جميع رفاق جيفارا وبقي يقاتل وحده وبعد قتال طويل تم أسره ثم أعدامه .

من أستلهم من موقف الحسين المبدئي اكثر هل هو ذلك المعمم المنشغل بسلب ارادة الناس والتدخل في خياراتهم الشخصية أم جيفارا الذي واجه قوة قوامها 1500 مقاتل ب16 مقاتل فقط دفاعا عن المبدأ؟؟؟

حين كان الأمام علي أبن أبي طالب خليفة كان يجلس في محل صاحبه ميثم التمار ويبيع للناس أثناء عدم وجوده . شاهدت قبل فترة صورة لجيفارا حين كان وزيرا وهو يساعد بعض الحمالين من خلال دفعه لعربة لتحميل البضائع . من ينتمي لمدرسة علي



ابن أبي طالب أكثر هل هو عضو مجلس النواب الذي ينظر الى الناس بأحتقار وأنفة ويعاملهم ببرجوازية أم جيفارا ؟؟؟

لو كان جيفارا موجود في زمن الحسين أجزم أنه لن يتردد في نصرته والوقوف معه والاستشهاد بين يديه ولو كان هذا المعمم الذي قال (من لا ينتخب القائمة الفلانية فليحضر جوابا يوم القيامة) موجود في زمن الحسين اجزم أنه سيقول (من لا يبايع يزيد فليحضر جوابا يوم القيامة) .

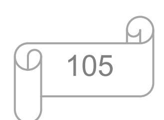
المصادر :

أنظر-ي :

1- **جيفارا – مؤمن المحمدي – كتاب مطبوع**
2- **مقتل الأمام الحسين – أبن أبي مخنف الأزدي – كتاب مطبوع**

-10-

الموت لأمريكا ... اللعنة على الغرب الكافر



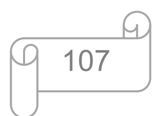
أحتد النقاش وتعالت الاصوات هذا يقول كل مصائبنا من الغرب الكافر والاخر يقول هناك مخطط غربي لأفساد الامة من خلال الانترنت والموبايل والستلايت . وثالث يقول يريدون أبعادنا عن ديننا . اجابه أحدهم مؤيدا (والله كلامك عين العقل فعلا وقعنا بالفخ ونجحت المؤامرة) . بعد قليل وقع بيد أحدهم خبر منشور في الجريدة يتحدث عن تمكن شخص ألماني من أختراع ضمادة تشعل ضوء أحمر أذا ألتهب الجرح . قرأ الخبر علينا منبهرا . اجابه احدهم بسرعة : (كذب هذا سارق ان من أخترع هذه الضمادة هو في الحقيقة شيخ مسلم لكن هذا الالماني سرق برائة الاختراع منه . تفاجأ الجميع وسأله احدهم من هذا الشيخ ومتى سمعت بالخبر . فقال له (أن احد الشيوخ دعى في صلاته أن ينزل الله من السماء ضمادة تضيء في حال ألتهاب الجرح) ويبدو أن الضمادة نزلت قرب هذا الالماني فأدعى كاذبا أنه اخترعها) نظر الجميع أليه نظرة أستغراب وأستفهام . فقال لهم : (عجيب أمركم ! قبل قليل كان الغرب الكافر يخطط لهدم الدين والان لا تصدقون أن أحدهم سرق أختراع من رجل دين مسلم . انتم تعلمون جيدا أن الله لن ينزل أختراعات من السماء وتعلمون جيدا أن رجل الدين لم ولن يخترع أبرة والفضل في كل ما نعيش فيه من تطور يعود للغرب الكافر . كيف لا يستحي رجال الدين ومن يتناغم معهم حين يصرخون باعلى صوتهم متمنين أن يقتل الله الكفار وهم يتمتعون بأختراعاتهم .

(أجاب احدهم بغيظ – يا أخي مسارقين منهم شي مشتريهة بفلوسنة -) أجابه : (لو أراد الغرب أحتكار التطور لنفسه

والأستغناء عن الفائدة المادية التي يجنيها منا لفعل وتخيل كيف سيكون وضعنا حينها) .

صحيح أننا نملك النفط مقابل أمتلاكهم للتكنلوجيا لكن الفرق الكبير هو ان النفط ليس من أبداعاتنا بل مادة طبيعية أما التكنلوجيا فهي ابداع عقلي . وحتى اكتشاف النفط وأستخراجه ونقله كان عن طريق تكنلوجيا اجنبية.

لا أتحدث عن الولاء المطلق للغرب والأيمان الكامل بهم والانغماس في تمجيدهم في كل شيء . فهم ليسوا أنبياء وليسوا مقدسين ونحن لسنا شياطين . وقد قاموا بجرائم عسكرية وسياسية كثيرة في منطقتنا لا يمكن غض النظر عنها . ما أتحدث عنه هو أنصاف الاخرين والوقوف على أرض الواقع للتمكن من المشي فالوقوف على الهواء لن يجعلنا نتحرك ولو خطوة واحدة وسنبقى هائمين على وجوهنا في مستقبل مجهول . أشعر بالامتنان لمخترع الامبيسيلين ومخترع علاج السرطان ومخترع الانترنت لكن لا أشعر بالولاء للمنظومة السياسية الغربية وهي محل نقد مرة ومدح مرة أخرى وهذا يعتمد على الموقف . الحالة نسبية وما يجب ان نعترف به ونقف عليه بقوة هو اعتمادنا الكلي عليهم وحتى المبدعين العرب من الذين تمكنوا من تحقيق أنجازات وأكتشافات عظيمة فهم تمكنوا من ذلك في ظل المنظومة التكنلوجية الغربية .



قبل فترة كان أحد رجال الدين يصرخ باعلى صوته مناديا بموت الغرب الكافر . من حقه ذلك لكن عليه اولا أن يعيش في خيمة أو في بيت من الطين أو اللبن ويستخدم الفرس في التنقل ويستغني عن المكيف الهوائي ويستخدم الزير (الحب) لشرب الماء ولا يستخدم التلفاز لأيصال صوته ألينا لأن كل هذه الأمور من أختراع الغرب الكافر هذا فضلا عن استخدام السماعات المكبرة للصوت .

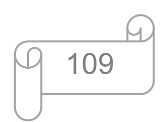
أستغني عنهم بشكل كامل ولا تستفيد من أبداعاتهم بعد ذلك ليغرد لسانك في سبهم . من المعيب أن تقلل من شان أمة وأنت لا تستطيع الاستغناء عن أنتاجها . قبل فترة كنت أقلب في الفيس بوك فلفت أنتباهي صفحة أسمها (دولة العراق الاسلامية) وهي كما نعلم تمثل تنظيم القاعدة في العراق . هل وجدتم خسة أكبر من هذه الخسة ؟ في ان يستخدمون التقنية الامريكية (الحاسوب) والخدمة الأمريكية (الانترنت) والموقع الامريكي (الفيس بوك) في معاداة الأمريكان . كيف تريدني ان اؤمن بافكارك وأعادي امريكا وأنت لا تملك ما تواجهه بها سوى مخترعاتها؟؟؟ هذا يعني أنك لا تملك شيء سوى الموت والكراهية وامريكا تملك حتى أدواتك الخاصة للتواصل مع مريديك ولولا أمريكا لما عرفنا ما هي افكارك . كيف تواجه أمريكا وتريد قتل شعبها وأنت لا تملك حتى أدوات خاصة بك تنشر بها أفكارك ؟

أما الصفحة الاكثر أثارة للسخرية هي صفحة (الموت لأمريكا قاطعوا البضاعة الامريكية) يطلب من الناس مقاطعة البضاعة الامريكية وهو يستخدم تقنية أمريكية وتكنلوجيا أمريكية وموقع أمريكي هل وجدتم وقاحة وغباء أكثر من هذه ؟

الاولى بهؤلاء ومن لف لفهم أن يرسلوا رسائلهم التحريضية عبر الحمام الزاجل أو على ظهر الحمير (أو يرسل منادي يحمل طبل كبير يظرب عليه مناديا يا قوم ...) لان هذه الادوات هي الوحيدة التي يستغنون بها عن الغرب الكافر . هل وجدتم في حياتكم رجل دين أخترع شيء مفيد للناس ؟ هل وجدتم في حياتكم نظرية علمية من أكتشاف رجل دين وأقصد رجل دين مجرد وليس رجل دين متعلم لان هناك رجال دين يدرسون أختصاصات أخرى ويبدعون في مجال أختصاصهم .

لم ولن يتمكن رجل الدين من تطوير المجتمع تقنيا . وهذا ليس شيء معيب على رجل الدين فليس من أختصاصه أختراع ادوات وليس من أختصاصه أكتشاف نظريات علمية . لرجل الدين أختصاص اخر مختلف .

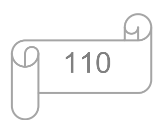
لنتخيل للحظة أننا نعيش وحدنا بدون غرب كافر ويقودنا رجال الدين فقط . تخيلوا شكل الحياة . هل لكم أن تتخيلوا عدم وجود كل المخترعات الغربية ؟ سنكون أقوام بدائية تعيش على الصيد والرعي وسنبدع في كتابة الشعر والتمنطق في الكلام وكل عام



سيأتي زغيم جديد يقتل الزعيم السابق ليترأس علينا . على رجل الدين ومن يؤيده أن يمتدح النعمة التي يتنعم بها من الغرب الكافر ويفرق بين أنتقاد سياستهم الخارجية تجاهنا وبين مجهودهم الحضاري القيم .

ان رجل الدين يعتقد أنه يستطيع أن يوفر نظام متكامل للانسان . لكنه في الحقيقة لم يرينا ولو نموذج بسيط من هذا النظام المتكامل الذي يستغني به عن الاخرين بل لم يتمكن هو على الصعيد الشخصي من الاستغناء عنهم . قد يقول أحدهم رجل الدين مهتم بتوفير الرفاهية للانسان في العالم الاخر . في الاخرة وهي الاهم كونها أبدية أما الدنيا فهي زائلة وغير دائمة .

الحقيقة أن الانسان يبحث عن حياة مريحة ومستقرة ويبحث عن العدالة الاجتماعية فليس من المعقول أن يقول له رجل الدين (كن كعلي أبن أبي طالب وليقتصر طعامك على الخبز والماء) في حين أن رجل الدين نفسه ياخذ على المحاضرة الواحدة التي مدتها ساعة ما مقداره 50000 دينار عراقي ما يعادل 40 دولار . رجل الدين أنسان ومن حقه أن يبحث عن لقمة العيش لكن هل ما يتحدث به واقعي ؟ هل ألتزم هو بأسلوب حياة علي أبن أبي طالب . رجل الدين يتحدث بمثاليات لا واقع لها في حياته . قبل فترة شاهدت رجل دين يتحدث مع الناس عن الاخلاق الحميدة والالتزام بمنهج الاسلام الأخلاقي . بعد فترة مررت قرب بيته فسمعت أحد أبنائه الصغار يسب ويشتم في الشارع بطريقة مثيرة

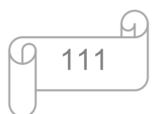


للاشمئزاز وابسط كلمة قالها (أنعل أبوك لابو...) ولك أن تتصور الحد الاعلى .

نسبة كبيرة من رجال الدين يتحدثون بلغة مثالية لا يستطيعون الوصول لعشرها في واقعهم الشخصي . رجل الدين يتمتع بمشاهدة التلفاز وبأستخدام الهاتف النقال وبكل الرفاهية الاجتماعية التي يوفرها الغرب . لكنه لا يجرؤ على مدحهم وأنصافهم من باب الجحود مرة ومن باب الخوف من خسارة شعبيته مرة أخرى .

والامر طبعا لا يقتصر على رجال الدين فظاهرة لعن الغرب الكافر والتمتع بكل قيمهم التقنية ظاهرة عامة . الكثير من الناس من يعتقد أن الغرب يعادي الدين الاسلامي ويحاربه ويبيت النية لتشويهه . السؤال الذي يطرح نفسه لماذا يفعل الغرب ذلك ؟ والجواب ضاع مني مع الأسف الشديد .

المنتمين للتيار القومي يركبون في نفس القارب مع المنتمين للتيار الديني . فهم أيضا يمجدون بأنتمائهم القومي ويسبون الأمبريالية ثم يصلون الى بيوتهم ليتابعوا الاخبار عبر تلفاز امبريالي ويأخذون القيلولة على مكيف هواء أمبريالي ويتصلون بأشقائهم بالعروبة عبر تقنية أمبريالية ويدخلون الماسنجر الامبريالي .



أعلم أن الأستفادة من هذه الخدمات ليست مجانية وكل شيء بثمنه . لكن لو أراد الغرب حجبها عنا من البداية لم ولن نتمكن من أختراع سيارة وتلفاز وأنترنت ولا بعد ألف عام . ان الشعور بالامتنان والاعتراف بالواقع أمر أخلاقي كما أن أنتقادهم سياسيا وأجتماعيا أمر ضروري عند الحاجة اليه . حين أتخيل نفسي بدون مخترعات الغرب ومحاط برجال الدين والقوميين فقط لا أتخيل نفسي الا (أنا والصحراء والوجه الحسن).

أن المشكلة في ظني تكمن في أحساس وهمي بالسمو ينتاب القوميين والمتدينين يجعلهم يشعرون أنهم محور العالم وكل العالم يحوك حولهم المؤامرات والدسائس لأسقاطهم من اعلى القمة لكن الواقع يقول غير ذلك .

أحد الاشخاص يعمل مع شركة أمريكية . حين يتجاذبون أطراف الحديث يتحدث عن المقاومة ودور فلان الفلاني في حماية شرف العراق والحفاظ على ماء وجه العراقيين ويكرر كثيرا جملة : (بس فلان بطل بس فلان شريف) قال له أحدهم مرة : (يا أخي ليش ما تترك الامريكان وتروح لفلان الفلاني هو ينطيك راتب ما دام أنت هيجي معجب بي بعدين صاحبك يحرم العمل مع الامريكان ليش ما تمتثل لأوامره) لم يجيبه طبعا لسبب بسيط وهو أنه يريد أن تسري المثاليات والوطنيات والحلال والحرام على غيره ويكتفي هو بشرف ترديد شعارات فارغة طالما أن القيمة العليا بالنسبة له هي المصلحة ثم المصلحة ثم المصلحة .

المشكلة الاكبر تكمن في هؤلاء الذين يعيشون في دول أوربية ويحرضون عليها في الجوامع التي شيدوها على أراضيها . والتقصير الحقيقي يكمن في هذه الدول التي تعطي حق اللجوء لمجموعة من الجاحدين المارقين . من المستغرب أن تقوم هذه الدول بمنح هؤلاء حق اللجوء ! ولا ادري ماذا تستفيد من وجودهم ؟

لو كان هناك تفوق حقيقي يجعل العرب والمسلمين مصدر خطر لكانت قصة المؤامرات الغربية معقولة ، لكن الواقع يقول اننا نعتمد في كل شيء من الابرة الى الصاروخ على الغرب . ولو كان الفكر الديني والقومي يؤدي الى تحول العرب والمسلمين الى أسياد العالم فلم يستفيد العرب والمسلمين من هذه النعمة ألبتة . وكل ما لديهم هو ملاحقة التطور الغربي وربطه بايات قرانية بأسم الاعجاز العلمي ولو لم يكتشف الغرب النظرية التي ربطوها بالاية الفلانية لما قالوا أنها تشير الى أكتشاف علمي ولا بعد مليون سنة . نعم حين كان عندنا عالم أسمه أبن الهيثم كنا منافسين حقيقيين بل كنا رواد . فمن بوادر أختراعاته وصلت التقنيات البصرية الى ما هي عليه الان لكننا مع شديد الاسف لا نملك أبن الهيثم الان . وواقعنا مختلف ويقول اننا بلدان العالم الثالث ونحتاج الى ان نعترف بواقعنا . حين نسمي انفسنا أننا شعب عظيم فهذا من قبيل (من مدح نفسه ذمها) أما حين يقول الاخرين عنا ذلك فهذا يعبر عن واقع . حين يقول أحدهم أنا أنسان مبدع فهذا كلام

فارغ ليس له قيمة أما حين تعبر أبداعاته عن نفسها فهذا أبداع واقعي فعلي يستحق التقدير .

في ظني أنها عقدة الشعور بالتفوق القومي والديني في ظل تفوق الاخرين التكنلوجي تؤدي الى النكوص والشعور بالمظلومية الذي يؤدي الى تخيل وجود مؤامرات ودسائس . وحتى على فرض وجود مؤامرة للأطاحة بالمسلمين فهذا ليس شيء جديد ولاغريب فهذا هو الانسان يحارب أخيه الانسان منذ الازل ولا يوجد جديد في هذا الامر و سيبقى الانسان يسير وفق منطق القوي ياكل الضعيف الى اشعار اخر .

حين نقف على أرض الواقع ونترك تمجيد الذات بمناسبة وبدون مناسبة . وحين نعترف أننا بلد من البلدان النامية والذي يغزوه التخلف في كل مكان . في ذلك الوقت فقط سنتمكن من التقدم لاننا سنكون في قمة الواقعية وأبعد ما نكون عن الخيال .

-11-

التعاطف مع القاتل بعد ان يقتل

قراصنة الكاريبي

أنا من أشد المعجبين بسلسلة أفلام قراصنة الكاريبي . السؤال الذي يطرح نفسه لماذا أتعاطف مع القراصنة من بداية الفلم الى نهايته مع أن القراصنة في الثوابت التي أعرفها يمثلون جانب الشر ؟ قام القرصان جاك سبارو بقتل العديد من الجنود لكن لم يرف لي جفن ولم أشعر بمشاعر سيئة تجاهه . ليس السبب لأني أعرف جيدا ان ما يجري تمثيل وليس حقيقة . فلو كان الأمر كذلك لماذا لم أتعاطف مع الجانب الاخر ؟ السبب الحقيقي هو أن المخرج أرادني ان اتعاطف مع القراصنة واظهرهم امامي بصفات حسنة ومليئين بالشهامة و روح الدعابة وأظهر الشخصيات التي تمثل الجيش التقليدي عبارة عن مجموعة من الأشخاص الوصوليين المخادعين . هكذا تعاطفت مع القراصنة . أذا كان سبب تعاطفي مع القراصنة في فلم قراصنة الكاريبي هو المخرج (غور فيربينسكي) فسبب تعاطف شريحة كبيرة من المجتمع مع شخصيات مارست الجريمة الفكرية ماديا ومعنويا هو (الواقع الاجتماعي الغير ناضج) الذي لم يحدد أولوياته في تقرير توجهاته . فالتبرير والأنحياز صفات ملازمة لمجتمعنا . وتجعله يغض الطرف عن بحر شاخص من الدماء لفشله في طرد لحظة تعاطف طارئة وغير مبنية على واقع حقيقي .

تعاطف طبيعي قهري

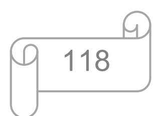
من الطبيعي أن يشعر الأنسان بنوع من التعاطف القهري حين يشاهد مشاهد يتألم فيها شخصا ما حتى لو كان جلاد . فهذه طبيعة الكثير من الكائنات ومن ضمنها الانسان وهي الشعور بالألم حين مشاهدة معاناة الاخرين . لكن لا يجب ان يسمح الأنسان لنفسه ان يبني مواقف مبدأية بناءا على لحظة عاطفة غير عقلانية وغير مبررة . فليس هناك ضرر حين يتعاطف أحدهم مع اي صورة عابرة تعبر عن مشاعر الالم . لكن الضرر يبدأ حين يبني موقف معياري ثابت بناءا عليها .هناك معيار أخلاقي يقف عنده الانسان ليقرر هل تعاطفه في محله ام أنها عاطفة طارئة لا يجب التوقف عندها . قد نتعاطف احيانا مع جلاد أو قاتل لأنه تعرض لموقف مهين او تعرض للقتل بطريقة بشعة . لكن هناك معيار يجب ان يكون هو الثابت في تحديد أحقية حصول شخصا ما على التعاطف من عدمه . المعيار هو دماء الأبرياء ومدى المحافظة عليها

مهما يكون – بغض النظر

حين تسمع جملة من هاتين الجملتين في بداية حديث أحدهم فتأكد أنه يحاول تبرير جريمة . قد تكون جريمة قتل، أو جريمة معنوية . أصعب لغز يواجه الانسان هو عقله . ذلك العقل الذي تتحول كل مقاييسه فور حدوث حدث مفاجيء.

التعاطف مع القاتل بعد أن يموت أمر وارد في مجتمعنا . ولا نتحدث عن تعاطف المؤيدين لفكره ومحبيه ومريديه . بل نتحدث عن هؤلاء الذين ينتقدوه بشدة . ثم ينقلبون 180 درجة بعد موته مباشرة . وتتغير مقاييسهم للحب والكره . فبعد أن كان صدام بالنسبة لهم دكتاتور . تحول فجأة الى شهيد الأمة . وبعد ان كان الزرقاوي بالنسبة لهم أرهابي وقاتل تحول فجأة الى شهيد الاسلام . لا نتحدث هنا عن هؤلاء الذين حسموا ميولهم مقدما وأيدوا تلك الشخصيات . فهؤلاء أمرهم واضح . نتحدث تحديدا عن اصحاب المواقف المضطربة التي تتغير بشكل فجائي . وبدون سابق أنذار.

ان هؤلاء تتسم أحكامهم بالمنطقية والعقلانية حين يكون الحديث عن نهج تلك الشخصيات واثارها على ارض الواقع . لكن حين يسمعون خبر

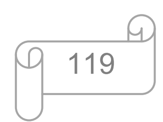


تعرض أحد هؤلاء الزعماء الى ضرر شخصي ستتحول المواقف من العقلانية والمنطقية الى العاطفية . وسيبدا بتبرير أعمال العنف الدموي والمعنوي . وسيتركز كلامه على نقاط محددة تحاكي وجدانه المتعاطف والمنحاز .

المشكلة لا تتعلق بمدى قدرة هؤلاء على تمييز ما هو جيد وما هو سيء . فهؤلاء لديهم قدرة كاملة على تمييز المقدار الذي يحدثه الألم لضحايا تفجير واحد قام به تنظيم القاعدة . ويعلمون أن هناك اطفال تيتموا ونساء ترملت وأباء وأمهات فقدوا أبنائهم . لكن هذا المعيار سيتوقف فور حدوث مكروه ما للزعيم الدموي.

من قاتل الى مقتول

في اللحظة التي يسمع بها هذا النمط من الناس خبر مقتل زعيم دموي سيبدا تعاطفه مع ضحايا ذلك الزعيم يقل تدريجيا الى أن ينعدم . وما أن يتحدث أحدهم عن الضحايا الذين فقدوا حياتهم بسبب أفكار هذا الزعيم يثارغضبهم ويتحول كلامهم من العقلانية والمنطق الى الجدل . ويبنون جدار سميك من الجمل الدفاعية التي يعدها عقلهم للوقوف امام انفسهم قبل غيرهم . وما ان يعود العقل في لحظات التأمل الى مساحة المنطق

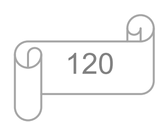


فمثلا . يقمعوه بمفردات وجمل تدعم البقاء في مساحة الأنحياز والجدل حين أعلن عن خبر مقتل بن لادن . أنفجر في عقول هذه الفئة من الناس (وهم نسبة كبيرة لا يستهان بها). أنفجر في عقولهم حزام ناسف من التعاطف والتودد لشخص أسامة بن لادن . بعد أن خرجوا يوما ما للتعبير عن رفضهم لأفكاره . و بعد أن أتهموه بالعمالة لأمريكا حين كانوا يصرخون بصوت باسم ضحايا التفجيرات ويقولون أن من فعل ذلك عميل لأمريكا يدعي الأسلام والأسلام منه براء .

المقارنة والقياس

بعد ان تنتشر في أرجاء كيان هذه الفئة من الناس أجواء التعاطف مع الزعيم المقتول . يبدأ الصراع بين فكرة انه أرهابي قتلت أفكاره ألاف الناس على الظن والشبهة وبين فكرة أنه فقد حياته بشكل شنيع على يد عدو الأمة الأول أمريكا . هذا الصراع لا يدوم طويلا فهناك مصل مجرب ينهيه بشكل سريع ودون ألم . أنه (التبرير والمقارنة والقياس).

يبدأ بأستعراض جرائم امريكا التي تجعل من بن لادن مجرد رد فعل . ويبدأ بالتركيز على جرائم أمريكا والتحدث عنها بشكل تفصيلي . ويحاول الدفاع عن كل جريمة أرتكبها بن لادن بأستخدام جمل كثيرة تعطيه



شعور بالارتياح . مثل : (لماذا ترك المال والعيال وأختار حياة الكهوف . الكثير من اعمال القتل التي قام بها أتباعه لم يكن موافق عليها وعنفهم عليها . كان رجلا بسيطا وزاهدا في الدنيا . على الاقل أذاق أمريكا الويل . لو كان سيئا لما قتلته امريكا) .

بهذه الجمل سيتحول التعاطف مع أبن لادن من قبل من كانوا ينتقدوه الى تعاطف مبرر وفي محله . ولو قلت لهم أن هناك عدد كبير من الأبرياء ماتوا بسببه سيقول لك دون أنتظار : (وكم قتلت أمريكا من الأبرياء) أنها المقارنة بين القاتل والمقتول . لو قلت لأحدهم أن أسامة بن لادن تسبب في قتل عشرة الاف انسان مثلا سيقول لك دون تفكير أن أمريكا تسببت بمقتل مليون أنسان . وبذلك سيكون أسامة بن لادن ملاك مقارنة بأمريكا .

وقد تجد من يصف عمليات القتل التي قام بها تنظيم القاعدة بانها (أخطاء) ويصف عمليات القتل على يد الامريكان بانها (جرائم) لانه يريد التهويل حين يكون الحديث عن الأمريكان لذلك يستخدم مفردة (جرائم) ويريد التهوين والتخفيف حين يكون الحديث عن القاعدة لذلك يستخدم مفردة (أخطاء).

من جلاد الى ضحية

ان أمريكا بقتلها أسامة بن لادن حولته من قاتل الى مقتول في ذهنية المجتمع . أن وقع الحدث الاخير في قضية ما قد يلغي الاحداث الأخرى . فغالبا ما يبني المجتمع مواقفه بناءا على اخر الأحداث والتي قد تقلل اثر الاحداث السابقة . فعمليات القتل التي قام بها بن لادن بأشرافه المباشر أو بتخطيطه أو بأيحاء من افكاره ذابت جميعها وطويت معها اخر صفحة في كتاب أسامة بن لادن الأرهابي في لحظة الأعلان عن قتله لتبدأ صفحة جديدة في كتاب جديد عنوانه أسامة بن لادن الشهيد . وما ساعد على ذلك هو الأدب الجم والأسلوب الهاديء لأسامة في حواراته التلفازية . فضلا عن كونه ملياردير يرتدي ملابس بسيطة تدل على التواضع . أن لهذه الصفات الشخصية ، فضلا عن مقتله على يد الأمريكان اثر كبير في تحوله الى رمز والتغاضي عن جرائمه .

قبل ايام كنت أتحدث مع أحد الأصدقاء في موضوع بن لادن . فقال لي : (لماذا قتلوه في هذا التوقيت تحديدا الا تجد الامر غريب ؟) فقلت له : (وما هو المميز في هذا التوقيت ؟ وهل تعتقد انهم لو قتلوه قبل عام من الان أو بعد عام من الان لم تكن لتقول لماذا هذا التوقيت ؟) أمريكا في ذهنية من يناصبوها العداء تتمتع بمقدار عالي من الدهاء والذكاء الذي يجعلها لا تفعل شيء الا في وقت مناسب ولغايات دفينة .

كل ما سبق ينطبق الى حد ما على صدام حسين مع فارق التوجه . فصدام في ذهنية فئة من المجتمع زعيم قومي وبن لادن في ذهنية فئة من المجتمع زعيم اسلامي . حين تسرد لأحد محبي صدام حسين جرائمه سيحدثك بشكل مباشر ودون تفكير عن جرائم الأمريكان وجرائم السياسيين الحاليين . بنفس المنطق . منطق المقارنة والقياس . الذي يجعل العشرة أقل من المئة والمئة أقل من الألف ويجعل من قتل عشرة ملاك قياسا بمن قتل ألف.

من يصف صدام بالشجاع يعلم جيدا انه لم يمتلك الشجاعة لمقاومة من جائوا لأعتقاله . لكنه يبرر ذلك بالتظاهر أمام نفسه بتصديق قصة ان القاء القبض على صدام كذبة والحقيقة أنه تم تخديره . أما عن التبرير الاكثر شيوعا لحب صدام هو حربه مع الأمريكان ومع الايرانيين . فما أن تقول أنه أدخلنا في حروب غير مبررة ذهب ضحيتها مئات الألوف سيقول لك أحدهم : (يا أخي بغض النظر على الاقل واجه الأمريكان والأيرانيين) أو مبررات أخرى من قبيل : (على الاقل كنا ساعة 2 بالليل نطلع للشارع) . (لعد هسة شلونة الوضع) (جان صدام واحد هسة ألف صدام) ليس من الصعب أيجاد شيء يبرر التعاطف مع صدام من قبل من كانوا ينتقدوه والحديث حصرا عن من كانوا ينتقدوه .

الاخر الذي يجب ألغائه

يعتبر قبول الاخر من أهم الثوابت التي تجعل المجتمع مجتمعا قابلا للتطور . لكن هناك (اخر) لا يمكن قبوله بل يجب ألغائه وهو الاخر الذي يلغي الاخر . من يكون هدفه الأساسي في الحياة هو الغاء الاخر . ويقوم بذلك بشكل فعلي ، من خلال القتل المستمر لأتفه الاسباب وسلب أرادة الاخرين وسلب كرامتهم . يجب الغائه من خلال سجنه أو قتله وتخليص المجتمع منه فيما لو قتل اخرين و بحكم القانون . حين يتحول الكلام الى دماء هنا يجب ان تسلب أرادة هؤلاء بل يجب ان تسلب حياتهم لأنهم لا يحترمون حياة الاخرين ويسلبوها بكل أريحية بل ليس لديهم مشكلة في الاستمرار . لذلك يجب حماية المجتمع منهم .

في اللحظة التي يتعاطف فيها القلب بشكل قهري مع صورة لجلاد يتعرض للألم ، يجب أن يكون هناك معيار لتحديد مدى أخلاقية هذا التعاطف . فليس كل تعاطف مقبول أخلاقيا . المعيار الاخلاقي يتعلق بدماء الابرياء ومشاعر ذويهم . فلا يجب ان اسمح لنفسي أن أتعاطف مع مجرم لأنه تعرض لأهانة او تم قتله بطريقة شنيعة ، فمشاعر ذوي الضحايا يجب أحترامها . ويجب تقديس وأحترام الضحايا الابرياء . من لا يتمكن من كبح جماح عواطفه الطارئة ويبني عليها مبادئه هو في

الواقع يعاني من خلل أخلاقي . نحن في الواقع الفعلي الذي يتألم فيه الضحايا ويتألم فيه ذويهم على فقدانهم ولسنا في مسلسل تصل فيه الاحداث الى ذروتها في الحلقة الاخيرة وينتصر فيه البطل قاتلا أو مقتولا . دماء الشهداء الذين قتلهم بن لادن في جميع أنحاء الأرض يجب ان نقدسها ونحترمها ويجب الوقوف أمامها بتقدير وتعاطف ويجب أن تكون هي المعيار لأنها اصدق تعبير عن معنى الحياة . أذا لم نفعل ذلك لتخسف بنا الارض لاننا لن نستحق حينها الحياة .

حين نتعاطف بسبب طبيعتنا مع صورة عابرة يظهر فيها (جلاد يحتضر أويشعر بألم أو مقتول بطريقة بشعة) يجب أن نستحضر صورة ضحاياه الذين لم يرف له جفن حين قتلهم أو دعى الى قتلهم . هؤلاء أولى بالتعاطف . ولهم يجب أن ترتفع صيحات الألم ولهم يجب ان ينحاز العقل والقلب معا . حين يكون مقياس الشعوب في التعاطف والاحتفاء هو دماء الابرياء الذين قتلوا دون وجه حق ستكون شعوب في طريقها للتطور وتستحق كل ذرة هواء وكل قطرة ماء تستهلكها . أما الشعوب التي يتحول فيها القاتل الى ضحية فور شعوره بالألم هي في الواقع شعوب مزاجية غير مبدأية تحكمها العاطفة . ولا تحترم دماء أبنائها . يبدو أن هناك مزاجية وعدم أكتراث لمشاعر الاخرين سببها خلل أخلاقي وتخلف أجتماعي . أنه باختصار قمة الانحطاط الفكري حين يبني الفرد

موقفه تجاه قضية بناءا على لحظة تعاطف مع صورة بائسة لقاتل لم يرف له جفن حين قتل الاف الأبرياء دون وجه حق .

حين نرفض الظلم يجب أن نرفضه بالمطلق وليس الظلم الذي يقع علينا فقط . الظلم ليس سيء حين نتعرض له فقط بل سيء بالملطق . وأذا كنا نرفضه فقط حين نشعر به فهذا دليل وجود خلل كبير في الذهنية والعقلية. أمر محبط أن تجد شريحة من المجتمع يكرهون جلاديهم ويحبون جلادين غيرهم كحب العرب لصدام حسين وكرههم لجلاديهم . من حق أي أنسان أن يحب من يريد ويكره من يريد لكن يجب أن يراعي مشاعر غيره ويضع نفسه محله . لكنه الأنحياز و الأزدواجية والأنانية والمصلحة .

-12-

السكير المؤمن

لا يوجد فائدة واحدة تذكر في شرب الكحول ولاينتج عنه ألا فقدان للصحة والعقل . ولا يوجد علاقة بين شرب الخمور والطيبة لكن المفارقة ان الصفة الشائعة عن نسبة من شاربي الخمور هي رقة القلب التي يرافقها ضمير حي ومتقد .

خمارا الى درجة الثمالة المستديمة لا تفارق قنينة الكحول جيبه ، كان يقف في مكانه الدائم تحت ظل حائط مائل ، مر بالصدفة أحد المتسولين من هؤلاء الذين يعيشون في أكبر منزل صيفي في العراق وهو حديقة الامة التي تقع في قلب بغداد ، تجمع بحنانها عشرات المتسولين كعائلة واحدة ، كان هذا المتسول يمشي حافيا ويبدو انه فارق الحذاء منذ فترة طويلة الى درجة ان قدماه تلونتا بلون ارضية الشارع ، وقف المتسول قريبا من الخمار ليرتاح من عناء الطريق الذي لا ينتهي الا بتوقف قلبه ، أنتبه الخمار لحال المتسول وكأنه ينظر للوحة سريالية رسمت بأنامل فنان شديد القسوة ، وضع الخمار يده على كتف المتسول ومده بدفعات من الحنان وأنتزع نعليه والبسهما في قدمي المتسول وذهب الى بيته حافيا .

مررت بأحد الاصدقاء مرة ووقفنا في باب داره انا وهو واحد أقاربه ، مرت سيدة يبدو عليها الفقر وكان صديقي على معرفة مسبقة بحالها فقدم لها يد المساعدة ، أنتفض قريبه بشكل مفاجيء قائلا : هل تعلم عنها شيء ؟ هل تعرف أن كانت تصلي أم لا ؟ هل تأكدت من كونها فقيرة فعلا ؟ هل تعرف مستوى أيمانها والتزامها ؟ وغيرها من الأسئلة التي أثارت أشمئزاز صديقي الذي أنتفض بوجه قريبه بشكل أثار أعجابي وأراحني بشكل كبير .

قدر الفقير أن يكون الالم صديقه الدائم الذي يزوره دون سابق أنذار ، شعار الخمار في قصتنا الأولى هو (الشعور بمعاناة الاخر) وشعار

المتدين في قصتنا الثانية هو (أستغلال معاناة الاخر للحصول على متعة أبدية لا تنتهي في الجنة)

هناك نوع من المتدينين علاقته مع الله مبنية على أساس تجاري تحدده معادلات رياضية، فهو يفكر كثيرا في ما سيحصل عليه مقابل فعل الخير ويفكر في تحقق المعادلة الرياضية التي توصله للمكسب المستهدف من الحسنات لذلك يهتم كثيرا في علاقة من يريد مساعدته مع الله ومدى قوة هذه العلاقة ولا يفكر بمدى معاناة هذا الشخص ومقدار الألم الذي يشعر به ، وهكذا نموذج لو فرضنا أن عمل الخير ليس فيه حسنات لم ولن ينفق دينار واحد لأجل رفع المعاناة عن أنسان ، الهدف الرئيسي من فعل الخير لدى هذه الشريحة هو تقوية علاقته بالله والحصول على متعة أبدية لا تنتهي ، أما الخمار الذي نزع نعليه دون تفكير ليرفع المعاناة عن المتسول وليذهب الى بيته حافيا دون حرج فهذا نموذج من نوع اخر ، وصل الى أعلى درجات الرقي وأعلى درجات الأحساس بالاخر ،لم يفكر في معتقد الاخر ولا مقدار التزامه ولم يعرف أن كان يصلي أم لا كل ما كان يفكر به هو مقدار الألم الذي يشعر به المتسول وطريقة تخفيف هذا الألم .

ليس هناك علاقة مباشرة للتدين و للخمر بالموضوع ، هناك متدينين يحملون نفوس طيبة ومقدار عالي من الحنان وهناك خمارين يحملون مقدار عالي من القسوة ، وتبقى نظرتي للخمر أنه شيء غير مفيد ومضر بالصحة ، ما أتحدث عنه هنا هو الحنو على الاخر بدافع الحب وليس بدافع المصلحة .

شاهدت مرة كلب أعطاه أحدهم طعام فأخذه بفمه ووضعه خلف اطار أحدى السيارات الواقفة في الشارع ورجع بعد خمس دقائق معه أربع كلاب واقتسموا الطعام جميعا، أن ما فعله هذا الكلب يعجز الكثير من

البشر عن فعله ، لم أعد أعتقد أن المشاعر الطيبة يجب أن تسمى مشاعر أنسانية ، فالواقع يفرض غير ذلك ، هي مشاعر توجد في البشر وغيرهم من الكائنات الحية ، تستخدم مفردة الأيمان عرفا كصفة للمتدين وتستخدم مفردة الكافر كصفة لللاديني أو الغير متدين احيانا .

حين نتأمل قصتي السكير والمؤمن نجد أن صديقنا السكير يؤمن بعقيدة الحنو والشفقة على الضعيف دون تردد وصديقنا المتدين يؤمن بعقيدة التزلف لله لنيل الجنة والتخلص من عذاب النار أما مساعدة الضعيف ورفع المعاناة عنه فهي وسيلة وليست غاية .

يتحدث بعض رجال الدين عن الله وكانهم يتحدثون عن هتلر، لا يهتمون بمدى قناعة الاخر ومدى شعور الاخر بجوهر الأيمان بالله فالنتائج الشكلية هي في المستوى الأول فيكفي أن تصلي وتقصر ثيابك وتستعمل السواك هنا وتتختم باليمين وتطلق اللحية هناك . خوفا من جهنم أو طمعا في حور العين ومن غير المهم أن تصل الى عمق الأيمان بفلسفة الله وفلسفة الموت والحياة .

المفارقة أن الخمار ليس في وعيه الكامل لكنه وصل الى درجة تعتبر وفق المنظار البشري أعلى درجات فهم الاخر والشعور به. والمتدين في كامل وعيه لكنه فشل في التفاعل مع الاخر وقرر الانتظار في البرج العاجي الى أن يمكن الاخر المنهك في هموم الحياة من الوصول اليه ، الأمثلة السابقة ليست معيار ممكن أن يقرن بالتدين أو شرب الخمر ، في هذه الحياة كل صفة ممكن أن تتوقع وجودها في أي أنسان مهما كان سلوكه الحياتي والتزامه الديني ، يتصور المتدين أحيانا أنه من خاصة الله وباقي الناس الذين لا يشبهونه في السلوك هم العامة لذلك يكتسب صفة الغرور فهو يهدد الناس بجهنم ويستثني نفسه ويغريهم بالجنة لأنه متأكد من أنه سيدخلها ، أقصى درجات السمو الانساني هو الشعور بمعاناة الاخر ورفعها عنه جهد الأمكان دون التفكير بالمكاسب المعنوية

والمادية ، بعض فاعلي الخير يفعل الخير من باب الانانية وليس من باب رفع الألم عن الاخر ، فلو لم يكن هناك مكافأة مقابل الخير أنا على يقين أنه لم ولن يفعله. والبعض الاخر يفعل الخير لأنه يريد رفع المعاناة عن الاخرين بشكل مجرد وليس له صلة بتقوية علاقته مع الله .

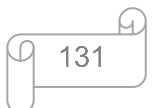
مطعم الظلام في الصين للتعاطف مع المكفوفين

يوجد مطعم في الصين وتحديدا في مدينة بكين أسمه مطعم الظلام ممنوع أن يدخل فيه أي شيء مضيء ويأكل زبائن المطعم في ظلام دامس وفكرة المطعم هي التعاطف مع المكفوفين .

في العراق هناك نسبة من الناس أذا اصبح احدهم بوجه شخص فقد احدى عينيه يقول (أعوذ بالله صبحت بوجه أعور غير يوم مشئوم) . الله على الأنسانية والكلام الطيب الله على التعاطف مع من فقد عضو من جسده الله على الحنية والرقة .

قد تجد صبي ذو طباع لئيمة وحقيرة ولا يمد يد العون لأحد لكن حين يكبر وينمو عنده الوازع الديني قد يقوم باعمال خير ليس حبا في عمل الخير بل للحصول على مكسب معين مثل تقوية علاقته مع الله أو دخول الجنة أو الابتعاد عن النار وهذه الحالة هي من أعظم أنجازات الأديان حيث أجبر الوازع الديني الكثير من الناس ذوي الشخصيات العدائية والانانية على عدم فعل الشر مرة وفعل الخير مرة أخرى .

أذا وجدت شخص يساعدك للحصول على الثواب والاجر فأعلم انك تقدم له خدمة كبيرة وأعلم أنك صاحب فضل عليه لأنه من خلالك يريد



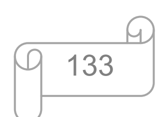
دخول الجنة او الهروب من النار أو تمتين علاقته مع الله . وأذا وجدت شخص يساعدك لأنه شفوق وحنون ويشعر بمعاناتك ولا يعتبر الاجر والثواب الا تحصيل حاصل وشيء ثانوي . فأعلم أنه كائن حي يقدر الحياة ويعرف قيمتها ولا يساعد أحد الا لشعوره بمعاناته .

مساعدة الاخرين تعاطفا وشعورا بمعاناتهم هي مساعدة حقيقية تنم عن أحترام الحياة وأحترام الألتزام الاخلاقي بالعلاقة التكاملية بين الاحياء . أما مساعدة الاخرين لدخول الجنة أو لتخفيف الذنوب وعدم الدخول للنار او حتى لاصلاح العلاقة مع الله هي أمر جيد لكنها مساعدة مصلحة ومن يحصل على هذه المساعدة هو من يقدم خدمة لمن يقدمها وليس العكس .

من الجيد ان يجبر الدافع الديني بعض اللئام على تقديم المساعدة للاخرين لكن على هؤلاء أن يعلموا ان من يقدمون له المساعدة هو من يتفضل عليهم بقبولها وليس العكس لأن المكسب الأكبر لهم ويفترض أنهم سيحصلون عليه في حياة أبدية أما ما يقدموه فهو وقتي وزائل .

-13-

نظرية الخداع بدافع التقوى ... وأخواتها



لست هنا في معرض نقاش حدوث المعجزات من عدم حدوثها . فهناك من يؤمنون بحدوث معجزات وهناك من لا يؤمنون . وأنا من المؤمنين بحدوث ظواهر خارقة للعادة كشفاء مريض يعاني من مرض يعجز الطب عن علاجه بسبب قوة أيمانه بعقيدة معينة . وهناك شواهد من الواقع أثبتت لي ذلك . ما أريد الحديث عنه هنا هو أستخدام وسائل سيئة للوصول لغايات نبيلة تبدا هذه الوسائل بسوء الخلق مع الاخر والكذب على الله وعلى الاخرين واتلاف الممتلكات وغيرها وتنتهي بالسلب والنهب والأغتصاب والقتل والترويع . ما أريد الحديث عنه هو مجموعةمن النظريات والمباديء التي تستند على عنوان (الغاية تبرر الوسيلة)

- نظرية الخداع بدافع التقوى(1)

وهي نظرية ظهرت في المسيحية وأنتقلت عدواها الى الاسلام . وتعتمد هذه النظرية على فكرة (أن خطيئة الكذب تبررها الأهداف السامية للتغلب على خطيئة أكبر وهي عدم الايمان. بمعنى اخر أن الاديان بحاجة الى ممارسة الخداع لأعادة الأيمان في قلوب الناس . مثل فبركة المعجزات وتزوير الاثار المقدسة وتشويه الوثائق التاريخية والتعدي على سرية الاعتراف الكنسي . ومن الامثلة على فبركة المعجزات :

- قيام قس بقراءة كلمات من الأنجيل على شخص مشلول فيتمكن هذا المشلول من تحريك اقدامه بشكل مفاجيء يثير دهشة وعواطف الحاضرين . ليصرخ القس بصوت عالي هللويا (بمعنى سبحوا لله - أشارة لحدوث معجزة -).

- أشاعة قصة عن فتاة مريضة عجز الاطباء عن علاجها وشاهدت (العذراء مريم في المنام او السيدة زينب في الرواية الشيعية أو السيدة عائشة في الرواية السنية) . وساعدت على شفائها عن طريق المعجزة وطلبت منها كتابة هذه القصة أربعة عشر مرة وأرسالها وتوزيعها وتطلب في نفس الوقت من كل من يقرأها ان يكتبها أربعة عشر مرة . ومن يكتبها يرزقه الله ويوفقه ومن لا يكتبها ينزل عليه البلاء .

- نشر مقطع فيديو لفتاة تحولت الى كائن مشوه (سعلاة) لأنها كانت تسمع الأغاني ولا تقرأ القران وحين كان والدها يقرأ القران ثارت أعصابها وأخذته منه وقامت بتمزيقه ورميه في المرحاض فتحولت الى سعلاة . ويظهر في هذا الفيديو صورة مدبلجة لكائن مشوه . وتجد في المقطع أسم المستشفى التي ترقد فيها هذه الممسوخة .

- نشر مقطع فيديو لقبر تخرج منه افاعي . وتبيان ان صاحب هذا القبر كان يستمع الى الاغاني في حياته .

- نشر مقطع فيديو لمجموعة يقومون بشعيرة التطبير ويظهر بينهم خيال لرجل لا يراه الباقين ويذكرون في المقطع أنه الأمام المهدي يشاركهم العزاء والغاية من المقطع واضحة وجلية وهي دعم هذه الشعيرة واعطائها شرعية وقدسية .

- نشر مقطع فيديو لبقرة تذبح وأثناء ذبحها تصرخ (يا حسين) وكوني من المؤمنين بالأمام الحسين وبحركته الثورية الرائدة . أشعر باهانة كبيرة وهذه الحيلة هي اتفه حيلة شاهدتها في حياتي . وتمثل أكبر أسائة لشخص الحسين أبن علي ومكانته الدينية والتاريخية .

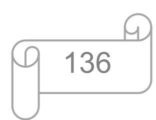
- أشاعة قصة ان فتاة خرجت من القبر بعد موتها . وقد تحول نصف جسدها الى نار وقد شاهدها أهلها حين ذهبوا لزيارة قبرها وهي على هذا الحال وحين سألوها عن سبب ما حصل لها قالت أن السبب هو عدم أرتدائها للحجاب وشاعت هذه القصة في نهاية الثمانينات وقالوا حينها انها ترقد في مدينة الطب والدخول لها متاح للجميع لتكون عبرة .

وغير ذلك من القصص والممارسات المشابهة التي قام بها مسيحيين ومسلمين (سلفيين وسنة وشيعة) . و تهدف بالدرجة الاساس الى أعادة الناس الى الدين وأبعادهم عن طريق الفساد والفجور (حسب وجهة نظرهم). عن طريق الفبركة والكذب .

بطبيعة الحال تعتمد هذه النظرية على مبدأ (الغاية تبرر الوسيلة) وبما أن الغاية هي نصرة الدين وأعادة احيائه فلابد أن تكون الوسيلة مبررة ومقبولة حتى لو كان منهي عنها في الدين . لكن الذنب المترتب عليها ستمحيه الغاية التي ستحققها وهي نشر الدين وغرس الأيمان في قلوب الناس .

كيف يفكر من يمارس الخديعة باسم التقوى ؟

من يستعمل هذه الاساليب ليس مؤمن بسيط . هو في الواقع مؤمن غير عادي . وردت أمامه روايات تتحدث عن حدوث معجزات . وهو يؤمن بها الى ابعد الحدود . لكنها مع الأسف توقفت عن الحدوث . بعد تفكير طويل سيقول في نفسه (ما هي المشكلة لو اعدت تمثيل معجزة حدثت فعلا ؟هل سيحاسبني الله لو أعدت أحياء معجزة من معاجزه ؟ لا اظن ان الله سيحاسبني لأني قمت بأعادة تمثيل معجزة قام بها سابقا ؟ ما هي المشكلة ؟ بالعكس سيكافئني الله لأني رسمت للناس لوحة من أصدق



اللوحات التي تعبر عن وجوده وقدرته) بهذه الطريقة وغيرها سيبرر لنفسه القيام بالخديعة والكذب لخدمة الدين . هذا لو كان مؤمنا حقا . أما لو كان كاذبا يريد الانتفاع ويريد ديمومة الدكان الذي ينتفع منه والذي يزيد ثرائه يوما بعد يوم . فلن يحتاج الى تبرير وفلسفة خاصة . ولن يجد أجمل وأروع من الخديعة والفبركة لأنجاح مشروع (المول الديني التجاري الخاص به) . أما المؤمن البسيط فهو من يصدق هؤلاء ويدافع عنهم ويبذل في سبيلهم الغالي والنفيس .

المشكلة الكبرى لا تكمن في هؤلاء فقط بل تكمن في من يصدقوهم وهم كثر لسوء الحظ . والمشكلة انهم ليس فقط يصدقوهم بل يدافعون عنهم بقوة وبقمعون كل من يشكك بهم ليشكلون بذلك حصانة شعبية لهم .

- نظرية الأستنقاذ

وهي نظرية تقول بجواز سرقة المال العام في الدولة الديمقراطية العلمانية اللادينية . لأن وجود العلماني في السلطة وجود غير شرعي . والذي يجب أن يتواجد في السلطة هو الأسلامي الذي يحكم وفق شريعة السماء . وبذلك يكون العلماني المتواجد في السلطة حائز غير شرعي للمال وأخذه منه ووضعه في يد صاحب الحق الأصلي أمر جائز ولا يوضع تحت عنوان السرقة . ويجب الاشارة الى أن هذه النظرية لا يؤمن بها كل المتدينين بل نسبة معينة لا تشكل شيء يذكر قياسا بعموم المتدينين . وليس كل من يؤمن بها يطبقها .

يقول المفكر والسياسي العراقي ضياء الشكرجي :

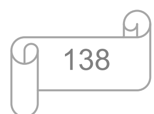
بعد خوض الإسلاميين للتجربة السياسية، وممارسة الكثير منهم للفساد المالي، والباطنية السياسية، والطائفية السياسية، والعنف. بعضهم

يمارس سرقة المال العام وهو متدين حقا، ويخاف الله، لكنه لا يعدّ ممارسته من قبيل السرقة، بل من قبيل ما يصطلح عليه بالأستنقاذ، أي إنقاذ المال من مالكه (الخطأ) إلى مالكه (الصح)، لأن الدولة الديمقراطية اللادينية ليست دولة شرعية، بل هو الذي يمثل الامتداد الحق للشرعية الدينية ولذا فهو أولى من الدولة بهذا المال. لكن هناك من يفهم الدين على أن الدولة الديمقراطية تملك شرعية التعاقد الاجتماعي، ولذا يجب الالتزام بلوازمها.(2)

- أتلاف ممتلكات الغير لنصرة الدين

ومثال على ذلك في الحملة الانتخابية في الانتخابات قبل الماضية قام أحد الأشخاص وهو مثقف وحاصل على شهادة جامعية بتمزيق دعاية أنتخابية لأحدى القوائم العلمانية . فقال له احد الأشخاص (أنت المثقف تفعل هذا الفعل اذا لا عتب على الجاهل) فأجابه (نحن بمعركة وأذا بقينا على عقليتك تضيع هويتنا المذهبية باسم الاخلاق) بالضبط نفس المبدأ الذي أستند عليه أبو مصعب الزرقاوي لكن الفرق هو أن الزرقاوي اختار أن يلغي الاخر من خلال قتله ومثقفنا أختار أن يلغي الاخر عن طريق تمزيق أعلانه التعريفي . (الغاية تبرر الوسيلة) والغاية هنا هي نصرة الدين والمذهب . والوسيلة هي تمزيق الهوية التعريفية للاخر .

أن هذا الشخص المتدين يعلم أن الشرع يحرم أتلاف ممتلكات الغير ، لكنه يعتقد أنه يقوم بذلك لأهداف سامية وهي نصرة الدين ، لذلك لا يجد ان الله سيحاسبه على خطأه البسيط في مقابل الخدمة الجليلة التي قدمها للدين والمذهب . وبكل تأكيد سيغفر الله له ذنبه البسيط مقابل المكسب الكبير الذي حققه وهو رفع اسم الدين عاليا .



- الهوية الدينية هي المعيار

أحدى القنوات التلفازية الارضية التابعة لحزب أسلامي عراقي تقوم بنقل الدوري الأسباني . و كما يعلم الجميع حقوق نقله حصرية لقناة مشفرة . في احدى المرات تحولت الكاميرا على الجمهور فظهرت فتاة ترتدي ملابس تظهر اجزاء كبيرة من جسدها . فتعمد المخرج أخفاء الصورة و أظهار صورة ثابتة لشعار القناة . وأعاد الصورة بعد فترة وجيزة وبعد أن تأكد أن الكاميرا أبتعدت عن تلك الفتاة التي قد تفسد بمحاسنها الشباب المسلم . لا أدري أيهما أكثر حرمة من الناحية الشرعية سرقة حقوق نقل مدفوعة الثمن من قناة اخرى أم ظهور فتاة ترتدي ملابس نصف مكشوفة ؟

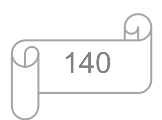
لا أتحدث هنا عن القناة المشفرة وكيف تعرضت للسرقة . لأني بصراحة كنت من المستفيدين من هذه السرقة . ولست مهتم كثيرا لأمر هذه القناة وهي كفيلة بالدفاع عن نفسها . ما أردت الاشارة اليه هو مدى تقيدهم بالحلال والحرام حسب وجهة نظر الشرع . ان المعيار الحقيقي هو ما يؤثر على الهوية الدينية وليس ما هو غير مقبول من الناحية الشرعية أو القانونية أو الأخلاقية . فمنظر فتاة نصف عارية يؤثر على هوية القناة الأسلامية . أما سرقة حقوق نقل فهو بالعكس من ذلك ، يعتبر من باب تقديم خدمة للناس وترفيههم وتسهيل أمرهم . مع أنه محرم شرعا وغير جائز . لكن لا يؤثر على الهوية الدينية لهذه القناة بنفس الدرجة التي يؤثر فيها ظهور لقطة لفتاة ترتدي قميص مكشوف . وتوفير أموال الناس كفيل بسد الذنب الناتج عن سرقة حقوق نقل مباراة وقد يزيده أجر وثواب .

من السهولة تبرير العمل المحرم شرعا طالما انه لا يؤثر على الهوية الأسلامية . فقد يقول لك احدهم (أن القناة المشفرة تتعامل باحتكار فاحش وتسلب أموال الناس لذلك نقوم بنقل المباراة كخدمة للمجتمع . حيث اننا نخفف عن كاهل الناس شراء كارت تلك القناة .) سيتعامل مع الحكم الشرعي بمرونة محورها (خدمة المجتمع) لكنه سيتعامل مع الحكم الشرعي بصرامة وقوة حين يكون المحور هو (الهوية الأسلامية).

قبل فترة ألتقى احد اصدقائي برجل دين عراقي مغترب وحين ذهب معه الى أحدى الجامعات العراقية . لفت أنتباه رجل الدين كثرة المحجبات . فقال لصديقي مبتهجا (ما شاء الله لم أكن أتوقع أن الالتزام الديني مرتفع الى هذه الدرجة). فأجابه صديقي (الحجاب لا يعبر بالضرورة عن الالتزام الديني فقد تكون أحداهن محجبة لكنها غير ملتزمة دينيا وقد تكون مضطرة لأرتداء الحجاب بسبب الضغط الاجتماعي أو ضغط الجماعات الدينية المتنفذة في المجتمع) فقال رجل الدين (مجرد وجود الحجاب كظاهرة ، دليل قاطع على أن الهوية الاسلامية فرضت نفسها وبقوة) . هكذا تؤخذ الامور في نظر الكثيرين . فقد يوصف شخصا ما أنه فاسق لانه يحلق لحيته . وقد يوصف شخصا ما أنه ديوث لان أبنته غير محجبة او ترتدي بنطال . بهذه القسوة يتم التعامل مع الأمور التي تصنف تحت أطار (الهوية الاسلامية) . لكن يتم التعامل مع الحكم الشرعي بكل مرونة وتهوين حين يكون الحديث عن افعال لا اخلاقية تأتي بمنفعة للدين (كما يصفونها) .

- قد تكون السارقة مؤمنة لكن السافرة ؟ مستحيل .

بكل بساطة يمكن أن تسمى السرقة – أستنقاذ- وينتهي الموضوع . لكن لا يمكن بنفس البساطة ان تسمى السافرة –مؤمنة- وذلك لانها أخلت



بالهوية الأسلامية . ولو كانت محجبة وترتدي الجبة والكفوف وتسرق المال العام باسم (الأستنقاذ) لكان من الممكن وضعها تحت عنوان الأيمان بل قد تكون مأجورة على فعلها . لكن خلع الحجاب . فهذا أمر لا تساهل فيه ولا رحمة لانه يسقط الهوية الاسلامية . المقياس الأساسي عند الكثير من المتدينين هو (الهوية الدينية) وليس (الألتزام بالشرع) . تحت عنوان كبير أسمه (الغاية تبرر الوسيلة). فسرقة المال العام هو وسيلة والغاية هي حمايته من أيدي المفسدين ووضعه في أيدي المؤمنين.

هناك نسبة كبيرة من المتدينين يرفضون مبدأ الغاية تبرر الوسيلة . ويحتمل أنهم لم يسمعوا به قط . لكنهم بفطرتهم السليمة وأنسانيتهم وأخلاقهم العالية لا يتقبلون الاعمال المنافية للأخلاق . ولا يقبلون سوى الغايات التي تشبه الوسائل المؤدية اليها . لكن هؤلاء لا يملكون التأثير في الجو العام في المجتمع الايماني بدرجة كبيرة. لأنهم ببساطة صادقين مع أنفسهم و يميلون الى تقبل الاخر وعدم الغائه . في ظل وجود أصحاب مبدأ الغاية تبرر الوسيلة فهؤلاء لديهم نفوذ لأنهم يسعون الى نصرة الدين بجميع الوسائل المتاحة . مما يؤدي الى تغلغلهم وحصولهم على ماربهم بوسائل شرعية وغير شرعية لأنهم ببساطة لا يجدون ما يردعهم .

يقول ضياء الشكرجي :

كثير من المتدينين والإسلاميين سرقوا المال العام واستغرقوا في ملذات الدنيا بغطاء شرعي، بينما نجد الكثير من اللادينيين أو حتى الملحدين أو حتى المتدينين العلمانيين، وهم موجودون بكثرة، يكونون أكثر تضحية بوقتهم ومالهم وراحتهم من أجل القضايا الكبيرة، من أجل رفاه الناس

وخيرهم، ومن أجل العدالة والحرية، كما إن منهم كما هو الحال مع الدينيين من هو مستغرق في الملذات، دون رادع ودون اهتمام بالشأن العام ... الله بالنسبة لي لا يعرف بالدين، ولا ينفى بالعلم، بل يستدل عليه بالفلسفة أو الأدلة العقلية. وهو عندي لا يثيب لمجرد إيمان أحدا من المؤمنين به، ولا يعذب لكفر أحدا من الكافرين به، إنما يثيب المحسنين بإحسانه، سواء آمنوا به أو ألحدوا، ويجزي المسيئين بعدله أيضا بقطع النظر عن عقيدتهم، والأدلة تشير عندي إلى أنه غير مهتما بمسألة الإيمان به، بقدر ما يريد من الإنسان أن يزداد تأنسُناً وتعقُلناً . (3)

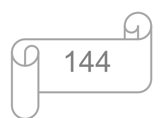
- **استغلال المقدس ... دجاج الكفيل نموذجا :**

هناك الكثير من الشخصيات التاريخية التي نتعرف عليها ونطلع على حياتها . لكن القليل منها من تؤثر فينا وتتربع في عقلونا وقلوبنا . من الشخصيات التي أثرت في نفسي هي شخصية العباس أبن علي أبن أبي طالب . فهذا الرجل العظيم كان له فرصة ان ينجو بنفسه حين طلب منه شمر أبن ذي الجوشن الانضمام له وأعطاه الأمان . وشمر كان يمثل قوة السلطة والأغلبية العسكرية مقابل الأمام الحسين الذي يمثل الوقوف ضد السلطة وأنتهاكها لحقوق الانسان وكان يمثل أقلية عسكرية خاسرة منطقيا . فليس من المنطق أن يغلب عشرات يقابلهم ألاف . الملهم والمؤثر أن العباس أبن علي كان لديه فرصة أن ينجو بنفسه لكنه أختار الموت على المبدا .

هناك الكثير من الألقاب التي يتلقب بها العباس أبن علي منها (كفيل السيدة زينب) كم هو شعور مؤلم ان أجد أن هذا اللقب يستخدم كماركة تجارية لدجاج تنتجه العتبة العباسية (دجاج الكفيل) . ولأني من محبي هذا الثائر شعرت باهانة شديدة حين وجدت ان هناك من يتاجر باسمه كعلامة لمنتجات حيوانية . لو كان من ينتج هذا الدجاج ويستخدم هذا الأسم تاجر علماني أو سلفي لقامت الدنيا ولم تقعد ولوجدنا فتاوى تحرم اكل هذا الدجاج حتى لو كان مذبوح على الطريقة الاسلامية لأن فيه اهانة لشخص العباس أبن علي وسيقال ان من أختاروا هذا الأسم نواصب اعداء أهل البيت بل قد يقولون ان للماسونية يد في الموضوع . لكن بما ان الجهة المنتجة هي العتبة العباسية المقدسة (فأشبع ولا تبالي) . أتألم وبشدة في كل مرة أرى فيها لقب العباس أبن علي موضوع على دجاجة ولغاية تجارية بحتة . طبعا هناك العشرات من المنتجات التي تستخدم ألقاب شخصيات تاريخية لها قدسية في نفوس الناس وذكرت دجاج الكفيل كنموذج بسيط . ومن أختاروا هذا الاسم يعلمون جيدا أن الناس تبحث دائما عن البضائع محل الثقة وخصوصا في موضوع الذبح . قبل فترة كنت أتحدث في هذا الموضوع مع أحد الاشخاص فمر شخص فضولي قربنا فتدخل في الموضوع وقال : (هم لا يقصدون بتمسية الكفيل لقب العباس أبن علي بل يقصدون معنى الكلمة) بعد أن ذهب هذا الشخص قرر صديقي أن يسأل أحد كبار السن من المتدينين في هذا الموضوع فاستوقفه وقال له (هل يجوز ان يوضع لقب

العباس أبن علي قمر العشيرة على دجاجة أليس في هذا الأمر أهانة لمكانته التاريخية والمعنوية) فقال له وبكل ثقة (اكيد من طرح هذا الكلام وهابي ؟؟؟... لو كان غير جائز لحرمته المرجعية وأنصحك أن تترك هذه المواضيع فليس فيها فائدة)
يعتقد البعض أن كل شيء حلال شرعا يجب أن نبتسم له . لا أدري ما هي علاقة الحلال والحرام بان تستنكر النفس أن يتم التجارة بلقب شخصية لها مكانة تاريخية ؟ هنيئا لكم هذه النوعية من الناس التي تبرر لكم كل شيء . فافعلوا ما شاتم وكيفما شاتم وتاجروا بمن شاتم فهنيئا لكم فقد ربحت تجارتكم . وابشع أنواع التجارة هي التجارة بالمقدس فهي رابحة ورائجة .
كم كنت أتمنى لو كان الحسين ابن علي ينتمي لامة أخرى لتنصفه وتعطيه حقه ولا ينتمي لهذه الامة التي تتاجر بلقب اخيه الذي كان لديه فرصة ان ينجو بنفسه لكنه اختار ان يموت مع المبدأ على ان يعيش مع قوة السلطة وظلمها .

لو كان تاجر علماني هو من أستخدم لقب العباس أبن علي كعلامة تجارية لمنتجات حيوانية لوجدنا الفتاوى على قدم وساق تتحدث وبحزن شديد عن التجاوز على الدين والقدسية وعن نصب هذا التاجر وعدائه لأهل البيت . لكن من يتاجر على ارض الواقع يلوذ بالمقدس وله مساحة واسعة وشاسعة من الحرية حددها المجتمع الذي يبرر لهم كل شيء وأي شيء ويتكل عليه في تحديد منطقية وصحة أي شيء . وتجذب هذا المجتمع دائما الرموز المقدسة حتى حين يشتري قطعة دجاج . لذلك تربح هذه التجارة.



المصادر

1- أنظر–ي : المعجم العلمي للمعتقدات الدينية - (165- 486)
2- الحوار المتمدن – ضياء الشكرجي في حوار مفتوح ... ألخ – ضمن ردوده على أسئلة القراء - 2011/5/1
3- الحوار المتمدن – ضياء الشكرجي في حوار مفتوح ... ألخ – ضمن ردوده على أسئلة القراء – 2011/5/1

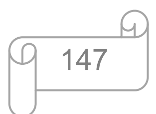
-14-

ألهي ... سنبقى نحتقر مخلوقاتك ونتزلف أليك

ألهي وربي وخالقي نتمنى أن تتقبل منا تملقنا وتزلفنا البسيط وهو أتهامنا لكل من يجرا على أنتقادنا (نحن من خولنا أنفسنا على التحدث بأسمك) بأنه عدوك وعدو نبيك وأنه من اتباع الشيطان وسنقوم بالتشهير بهؤلاء وأظهارهم أمام الناس وكأنهم كفروا بك حتى لو لم يكونوا كذلك والغاية هي لنغلق عليهم الباب كي لا يتمادوا في النقد وكي نتقرب أليك زلفا في قمع من نجدهم لا يوافقوننا وينتقودوننا لأننا نرى أنفسنا أقرب الناس اليك ونعتقد أنك تعتبرنا كذلك.

ألهي وربي وخالقي ... يدعي بعض المؤمنين اننا يجب أن لا نقمع من ينتقدوننا أو لا يتفقون معنا لأن الأيمان وحرية الفكر امر شخصي ولا يجب التدخل في خيارات الناس الشخصية ويجب الرد على الفكر بالفكر الذي يثبت عدم صحة كلامهم وليس بسلب أرادتهم . أنت حسب رأيهم لا تهتم لو رسم أحدهم كاركاتير فيه نقد لحزب أسلامي ولا تغضب لو انتقد احدهم دينك بل تحب من يحترم مخلوقاتك ويحترم الفكر الأنساني الحر ... ألهي وربي وخالقي هؤلاء يجرأون الناس عليك ويقولون أنك تحب من يحترم مخلوقاتك. ان هؤلاء يجعلوك تظهر بمظهر الأله المحب وليس الأله المخيف ويريدون من الناس أن تواجه الفكر بالفكر وحتى لو كان ما يقولوه يطابق ما تريد فهو ليس في صالحك . لذلك أرتأينا أن نتخذ موقف مضاد من هؤلاء المخانيث الجبناء ونجعلك تظهر بمظهر الأله المرعب .

في الواقع نحن نعتقد انك تشبه حكامنا لكن أكبر حجما وأكثر قوة وقدرة . لذلك نحاول تملقك بشتى السبل فنعتقل كل من يشكك بوجودك وكل من ينتقد دينك بل حتى من يخونه التعبير وسنبقى نتزلف لك بهذا الأساليب وسنبقى نسعى لأستعباد الناس وتخويفهم بأسمك . سنجعل حياتهم رعب وخوف دائم . سنجعلهم يخافون الحديث كي لا يفلت لسانهم بكلمة يتم تفسيرها من قبلنا على أنها أسائة لك .



بصراحة لا نجدك مهتم في الثأر من المنتقدين ونعلم أنك قد تغفر لهم لذلك أرتأينا أن نأخذ نحن هذا الدور نيابة عنك . لو أقتضى الامر سنكذب ونلفق كلام من عندنا لننتصر لك وبكل تأكيد لن تنزعج لاننا كذبنا لأن كذبنا يؤدي الى رفع راية الله أكبر عالية وهذا شيء يسرك . وسنتحدث مع الناس بصوت عالي وبوجوه مكفهرة ليشعروا بهيبتك . سنخيفهم منك ونجعلهم يختباون كالجرذان . يجب أن نشعرهم بجبروتك . سنحرم عليهم كل شيء وسنجعلهم يركعون لك ليل نهار .

أذا تمكن هؤلاء المؤمنين الضعفاء الذين يشيعون ثقافة التسامح وتقبل الرأي الاخر ومواجهة الفكر بالفكر من النجاح . هذا يعني حدوث فلتان امني في دولتك وستجد من يحبك بدل الخوف منك وهذا امر سيء . لأن من يتواصل معك حبا بك وليس خوفا منك هو في نظرنا شخص عاصي لأننا لا نحترم أحد ألا أذا أرعبنا وأخافنا و نعتقد ان كل الناس مثلنا لا تفهم الا لغة الخوف . يجب ان تنتشر ثقافة الخوف منك ويجب ان ترتعب قلوب المؤمنين . لم نفهم أبدا ان الحب يعني الاحترام ونحن لا نحترم من يحترمنا ويحبنا بل نحترم من يعاملنا بقسوة ويسلب أرادتنا لذلك لا نعتقد ان أشاعة ثقافة حب الله من مصلحتك لاننا نعتقد أنك مثلنا وتفكر بمنطقنا لكنك بحجم أكبر . لذلك نرجو منك أن تلقي من يحبوك في النار . لان الحب حسب منطقنا أهانة . ولن نسمح لهؤلاء بان يتجاوزوا حدودهم ويحبوك دون أن يخافوا منك .

رأينا في أنفسنا حالة غريبة هي أننا نستقر نفسيا كلما تعرضنا لاهانة من الحكام . بعد أن يهينوننا نقوم بتبجيلهم وتملقهم بل لا نسمح لأحد بان ينتقدهم . ونحن نراك مثلهم لكن اكثر ضخامة لذلك نريد منك ان تعامل الناس كما يعاملنا حكامنا . والحقيقة أننا أشعنا عنك هذه الفكرة حتى وأن كانت ماهيتك مختلفة . لان هذا من مصلحتك حسب رأينا .

أحيانا نشعر أن هؤلاء المؤمنين الذين يشيعون ثقافة التسامح وقبول الرأي الاخر على حق . لكن هيهات أن نسمح للحقيقة أن تنتشر لأنها ليست في صالحنا وكل مصالحنا المعنوية والمادية ترتبت على اساس أنك مخيف ومرعب وتجلس على عرشك كالملك وتحب من يقصر ثوبه ويطلق لحيته وليس مهم أن يغتصب محارمه فالاغتصاب حالة عابرة وغير مهمة قياسا بالهوية الدينية التي تعبر عنها اللحية ويجسدها الثوب القصير . لو جائت فتاة الى القاضي وقالت له أن أخي يغتصبني وحضر أخيها الى المحكمة وكان ملتحيا ومقصرا ثوبه سيقول لها القاضي عودي الى بيتك اتريدينني ان أصدقك انت وأكذب مؤمن ملتحي ؟ هذه نتيجة أشاعتنا لثقافة الهوية الدينية ونتيجة تحريمنا لكل شيء التي ولدت كبت وعقد نفسية متأصلة . وسنبقى هكذا لأننا نتحدث باسمك ولن يوقفنا شيء من العبث في مقدرات الانسان وقيمته ألا قوة القانون وطالما ان القانون معنا فلن يوقفنا احد .

وأخيرا يا ألهي نضع كل هؤلاء المجرمين بين يديك ونتمنى منك أن تكافانا مقابل تزلفنا لك بشلة من الصبايا من حور العين .. ولا تنسى أننا أصحاب فضل عليك لاننا جعلنا الناس ترتعب منك خوفا ... ألسنا أفضل من هؤلاء الجبناء الذين يريدون من الناس ان تحبك ؟؟؟

-15-

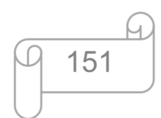
الناطق الرسمي باسم الله

الراهبة : قبل أيام حل الجفاف في أستراليا وقام رئيس الوزراء بدعوة الشعب الاسترالي الى الصلاة ليحل المطر وبعد ثلاث ايام هطلت أمطار غزيرة . أنت طبيب وتؤمن بالعلم التجريبي وأعتقد أن هذه القصة الواقعية خير دليل تجريبي على وجود قوة تستجيب للصلوات .

الطبيب : على ذكر العلم التجريبي . حين كنت طفلا كنت أركع على ركبتي لساعات طويلة داعيا الله ان لا يعود زوج والدتي للبيت لأنه كان يغتصبني بشكل يومي دون علم أحد و يهددني بأيذائي لو اخبرت أحد . لكن لم يستجب لي الله ابدا ومن ذلك اليوم لم ادخل كنيسة ولم اصلي لأن من توسلت أليه أن يخلصني من تعرضي للأغتصاب ولم يجبني أبدا يحتمل أحد الأحتمالين : أما أنه (غير موجود أصلا)أو (غير مهتم)وفي الحالتين لم يعد هناك داعي للتواصل معه !

(أقتباس من مشهد من المسلسل الامريكي - nip tuck)

لو تأملنا الحوار السابق سنجد أن الراهبة التبشيرية تتحدث عن ربط ظاهرة طبيعية وهي هطول الامطار بصلوات المؤمنين (سبب ونتيجة) . والطبيب ينطلق من نفس المنطق أيضا وهو منطق ربط الأحداث مع بعضها لتفسير حالة معينة .

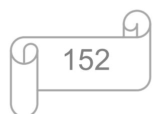


في ظني ان المطر هطل كظاهرة طبيعية قد يكون لدعاء المؤمنين اثر في هطوله وقد يكون مجرد صدفة لا علاقة لها باي دعاء . ومحور الأجرام في قصة الطبيب هو زوج والدته وهو الملام الاول ويتبعه والدته وثقتها المفرطة بزوجها وسكوت الطبيب نفسه أحد أسباب تمادي زوج والدته . أنها معظلة الشر ووجود الألم الغير مبرر . هناك شرور سببها الانسان وهو الملام عليها وهناك شرور ليس لها علاقة بالأنسان .

ان تأثير المعاناة والألم أكثر قوة من تأثير المنطق والفلسفة في تبرير الشر والألم . فلو جاء الف قس وألف راهبة لم ولن يستطيعوا أقناع هذا الشخص في ان ما مر به له تفسير وتعليل . من يمر بالمعاناة ليس كمن يتحدث عنها والبعض يهتمون جدا في الدفاع عن من لا يحتاج الى محامي وهو (الخالق) وينسون التعاطف مع المعاناة والألم الأنساني .

البعض تحكمهم المزاجية في تفسير الأحداث والظواهر والمحور عندهم هو (التدين) ومثال على ذلك :

- أذا احترق بيت أحدهم و كان ملتزم دينيا سيقول نسبة من المتدينين أن هذا (أبتلاء وأمتحان)وأذا كان غير ملتزم سيقولون أن هذه (عقوبة من الله) بسبب عدم أمتثاله لأوامره .



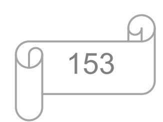
- لو ابتهل الملتزم دينيا الى الله وتحقق ما يريد سيقول (الحمد لله ان الله وفقني وحقق لي ما اريد وهذه نعمة من الله)وأذا لم يتحقق ما يريد سيقول (لا بد أن لله حكمة ما وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم) .أما لو أبتهل الغير ملتزم لله وأستجاب له سيقول الملتزمون دينيا (يمدهم في طغيانهم يعمهون) واذا لم يستجب الله له سيقولون (أن دعاء هذا الرجل محبوس بسبب سوء أفعاله)

- لو أنجب فلان الفلاني الملتزم طفلا وأكتشفوا أنه متخلف عقليا سيقولون أنه أختبار أما أذا كان كامل الخلقة والاخلاق سيقولون أنه هبة من الله . أما أذا كان والد الطفل سكير فسيقولون أنظروا سوء عاقبة شارب الخمر كيف أنجب طفلا متخلفا .

- اذا حدث زلزال في ايران سيقولون أنه أختبار وأبتلاء للمؤمنين وأذا حدث في أمريكا سيقولون انه عقوبة من الله لعدوة الشعوب والشيطان الأكبر .

- أذا حدث فيضان في السعودية سيقولون أذا أحب الله عبدا أبتلاه أما أذا حدث في تايلند سيقولون أنه غضب الله على الكفار .

- سيدة طيبة حنونة لم توفق في انجاب أطفال وبعد عمر طويل يموت زوجها لتعيش وحيدة بين طيور الزينة التي تؤنسها بتغريدها الحزين لتقضي ما بقي من عمرها بائسة وحيدة ذهبت لتزور فلانة المتنعمة بالجو العائلي بين ابنائها وأحفادها فقامت بعد



خروجها بتبخير البيت وقراءة المعوذات من عين الحسد التي تحملها هذه العاقر البائسة . وواقع هكذا نماذج أنهم يتعاملون مع الاخر على اساس أنهم مميزين من قبل الله لأفضلية فيهم لذلك يخافون من الاخر الغير منعم وغالبا ما يظهر غرورهم على السطح حتى لو حاولوا عدم أظهاره . وتصرفات هؤلاء غريبة فكثيرا ما يخفون أتفه الأمور التي تحدث في حياتهم عن الاخرين

- لم اجد مقطع فيديو لشخص شكله غريب او غير طبيعي او مصاب بحالة نادرة ألا ووجدت تعليق يقول : (الحمد لله الذي عافانا بما ابتلى به غيرنا خلق الله هذا الشخص للعبرة فاعتبروا واحمدوا الله على كمال الخلقة) . لا أجد نفسي ملزم أن اقارن نفسي بمن هو اسوء لأشعر بالافضلية فلا مجال لاي مقارنة لأن أول ما يجب أن يفكر به اي كائن حي حين يجد معاناة الاخرين أمامه هو التعاطف معهم ومحاولة رفعها عنهم قدر الأمكان وهذا ما يريده الله حقا . قبل فترة كنت في احدى المستشفيات مع أحد اقاربي ووجدت مريض يصرخ بصوت عالي سألت احدهم عن حالته فقال لي (أن هذا المريض متخلف عقليا ومصاب بمرض في القلب وعجز في الكلى ومرض في الرئة بحيث لا يتمكن من التنفس الا من خلال الأوكسجين . ليس لي الا أن اقول بمن سيقارن هذا الشخص المسكين نفسه ليشعر براحة ؟ ولو وجدنا من هو اسوء منه فبمن سيقارن نفسه ؟ وبماذا أنتم مفضلون ليعطيكم الله كمال الخلقة ؟ الجواب لاشيء ثم لاشيء ثم لا شيء . ولماذا هذا الشخص يعاني ثم يعاني ثم يعاني وهو متخلف عقليا ولا

يدري ثم لا يدري ثم لا يدري لماذا يعاني ؟ كل التفسيرات مبنية على اعطاء أفضلية للمؤمنين الملتزمين على غيرهم لأن عقولهم مركبة بهذه الطريقة طريقة تفسير كل شيء لصالحهم لذلك نجد ان الكثير من المتدينين ينصبون أنفسهم ناطقين رسميين باسم الله . لذلك نجد الناطق الرسمي يفسر كل شيء على مزاجه ثم يصرح (أختبار وأمتحان) هنا و (غضب من السماء) هناك .

كل شيء يدور في عقول هؤلاء حول الأيمان والتدين لذلك هكذا نوع من الناس دائما يبحثون عن تفسير لتيبجحون بتصريحاتهم الصادرة باسم السماء زورا وبهتانا والتي تعلي من شان المؤمنين المتدينين وترضي غرورهم وتقلل من شان غيرهم مهما كان الحدث ومهما كان الواقع .

-16-

روحاني أحاول الفهم ولا أبحث عن الثواب

الأول : لم أكن أعلم ان لك أهتمامات دينية في حياتك اليومية فهذا غير ظاهر عليك أسمح لي ان اسمح لي ان استفهم عن السبب الذي يجعلك تهتم لهذه الدرجة بالحضور الى الكنيسة والأستماع الى موعضة الأب؟

الثاني : انا لست متدين انا روحاني

الاول : هل تتكرم بايضاح الفرق بين الاثنين؟

الثاني : الروحاني يحاول الفهم والمتدين يحاول الحصول على الثواب

(أقتباس من مشهد من المسلسل الامريكي الكاترازAlcatraz)

كان يمشي مسرعا كعادته . تدور الافكار في راسه كدوران الأرض حول الشمس . هو دوران مستمر ليس له مستقر . ما ان وصل الى بيته حتى أنقض على حاسوبه ليرد على رسالة ألمته كان قد أرسلها له أحد أصدقائه . شرع في الرد على الرسالة لكن شيء ما كان يجعله يكتب ثم يحذف ثم يكتب ثم يحذف . فجاة قرر أن يرسل الرسالة متكوبة على الورق بتقنية القرن العشرين عبر البريد وليس عبر البريد الالكتروني ليشعر هذا الصديق بأهمية تلك الرسالة فوصولها بيد ساعي بريد يقرع الجرس اكثر أهمية من وصولها عبر البريد الألكتروني . أمسك قلمه وبدأ بالكتابة :

رسالة الى صديقي

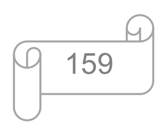
يا صديقي لا تتهمني بالألحاد فلا أنا ملحد ولا الألحاد تهمة . حين تحدثني بلهجة محققين الشرطة وتقول لي (أنت ملحد) فعليك أن تعلم أن الألحاد ليس تهمة بل حرية فكر وقناعة شخصية وأنا ببساطة لم أصل لهذه القناعة ولو كنت ملحد لما خجلت من هذه الحقيقة وفي نفس الوقت لن أكون مضطر أن أبين لك ذلك فهذا أمر يعنيني وحدي . أتذكر حين قلت لي (أبحث لك عن دين اخر غير الأسلام) ؟ لماذا تعتقد أنك مؤهل لتقييم الاخرين وتقييم مدى أنتمائهم لدينهم ؟ الأسلام يا صديقي دين وليس حزب سياسي لأبحث لنفسي عن غيره حين ترتأي انت أني بعيد عنه . الدين هو علاقة الأنسان مع الله وعلاقة الأنسان مع الكائن الحي . علاقتي مع الله شان يخصني ويخص الله ولا يخص الاخرين . أعلم أنك تنزعج حين أقول ان الدين أمر شخصي . نعم هو أمر شخصي لذلك ذكر لنا الدين ان كل أنسان يحاسب على أعماله يوم الحساب ولا أعتقد أنك ستحاسب على أعمالي . كل الخيارات متاحة أمامي ولو أردت أختيار دين اخر فهذا أمر شخصي . أنت تعتقد أنك تسلك الطريق السليم والنموذجي لذلك حين تجد شخص لا يسلك نفس الطريق فهو في نظرك بعيد عن الدين ويجب ان يبحث لنفسه عن دين اخر . لك مطلق الحرية في ان تختار اي طريق يناسبك طالما أنه في حدود أحترام الاخر . لكن أحتكار الحقيقة لنفسك هو

لون من الوان التعالي على الاخر من خلال شعورك بان علاقتك ممتدة مع السماء وغيرك منكب على الأرض .

أنا ببساطة لم أقتنع بأدلة الألحاد وأؤمن بوجود خالق لهذا الكون وهذا الأيمان بالنسبة لي حقيقة تسكن في قلبي وعقلي . لكني أحترم الحقيقة التي تقول أن ليست ثمة خالق لهذا الكون . علاقتي مع الخالق مبنية على التأمل والتسائل وليس على أساس الثواب والعقاب . السؤال الدائم لفهم الحقيقة والوصول اليها هو الصلة التي تربطني بالخالق . هي صلة روحانية الغاية منها الفهم وليس الحصول على ثواب . تأمل الوجود بكل ما فيه من غموض ووضوح هو صلتي بالخالق . من الظلم أن تبحث في كلامي عن مفردات تعتقد أنها دليل على عدم ايماني بالله .

أجمل ما في الاديان أنها تعطينا الامل في اللقاء بمن نحب مرة أخرى بعد الموت . واتعس ما في الألحاد هو أنه يجعل النهاية مأساوية (العدم) . ان أيماني بوجود خالق يعطيني الأمل في كل لحظة أعيشها . ويعطيني الحافز لمزيد من التأمل .

ان الغيبيات بالنسبة لي نظريات يستحيل التحقق منها لدرجة اليقين المطلق (نفيا وأثباتا) . هي بالنسبة لي كالنظريات العلمية التي يستحيل التحقق من صحتها أو عدم صحتها كنظرية الكون الموازي . فهي نظرية محترمة وهناك من العلماء من يعتقد بصحتها لكن لا يستطيع أي شخص في زمننا الحالي السفر الى

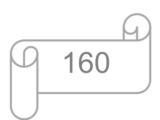


الكون الموازي للتاكد من وجوده لكننا في نفس الوقت لا يمكننا أن نجزم بعدم وجوده . هكذا ارى الغيبيات . نظريات يستحيل التحقق من صحتها ويستحيل التحقق من عدم صحتها . لكنها تبقى نظريات قائمة .

ألاستعلاء الألحادي لن يتقبل كلامي وسينظر له بكبرياء العقل والأستعلاء الأيماني لن يتقبل كلامي وسينظر له بكبرياء الأيمان . الملحد سيقول (أن هناك قصور في فهمك يجعلك لا تقتنع بالنظريات التي يستند عليها الألحاد) . أكاد أجزم لو أن القران هو من قال أن حجم الكون قبل الانفجار العظيم كان أصغر من حبة السمسم لكانت هذه الاية مثار سخرية الملحدين . لكن لأن القائل هو عالم فيزياء فالكلام مقبول ومحترم في أذهان الملحدين .

والمؤمن سيقول (ان هناك قصور في فهمك وتسطح في عقلك وتشويش في ذهنك ووو...ألخ) . لكن هذه الحقيقة التي تسكن في عقلي وقلبي وليس من حق الملحد أن يستخف بعقلي لاني لم أقتنع بادلته وليس من حق المؤمن أن يستخف بعقلي لأني أفكر بحرية وتجرد . علاقتي مع الخالق مبنية على اساس السؤال الدائم والشك المتواصل للأقتراب من الحقيقة وليس على اساس الحصول على ثواب فالثواب بالنسبة لي هو تحصيل حاصل وليس هدف .

يا صديقي انا أحاول جاهدا فهم نفسي فكثيرا ما أقف حائرا أمام ذاتي وكل التناقضات التي تحويها . يا صديقي أنا أحاول جاهدا



الحصول على أجوبة. المؤسف أنك لن تتمكن من الاجابة على اسألتي وهذا شيء لا يعيبك والمؤسف أيضا ان نظريات الألحاد لم ولن تحذف علامات الأستفهام الكبيرة المتربعة في كياني . لذلك أحيلك يا صديقي الى طلاسم أيليا أبو ماضي التي يقول فيها :

جئت لا أعلم من اين ، ولكني أتيت
ولقد أبصرت قدامي طريقا فمشيت
وسأبقى ماشيا ان شئت هذا أم أبيت
كيف جئت؟ كيف أبصرت طريقي؟
لست أدري!
أجديد أم قديم أنا في هذا الوجود
هل انا حر طليق أم أسير في قيود
هل أنا قائد نفسي في حياتي أم مقود
أتمنى أنني أدري ولكن..
لست أدري!
قد سألت البحر يوما هل أنا يابحرمنكا؟
هل صحيح ماروواه بعضهم عني وعنكا؟
أم ترى مازعموا زوراً وبهتانا وافكا؟
ضحكت أمواجه مني وقالت:
لست أدري!
أنت يابحر أسير أه ما أعظم أسرك
أنت مثلي أيها الجبار لا تملك أمرك

أشبهت حالك حالي وحكى عذري عذرك
فمتـــى أنـــجـــو من الأسر وتنجو؟
لست أدري !
رب فكر لاح في لوحة نفسي وتجلى
خلته مني ولكن لم يقم حتى تولى
مثل طيف لاح في بئر قليلا وأضمحلا
كيف وافي ولماذا فر مني ؟
لست أدري !
أني أشهد في نفسي صراعا وعراكا
وأرى ذاتي شيطانا وأحيانا ملاكا
هل أنا شخصان يأبى هذا مع هذاك أشتراكا
أم تراني واهنا فيما أراه ؟
لست أدري !
بينما قلبي يحكي في الضحى احدى الخمائل
فيه أزهار وأطيار تغني وجداول
أقبل العصر فأمسى موحشا كالفقر قاحل
كيف صار القلب روضا ثم قفرا ؟
لست أدري !
كل يوم لي شأن، كل حين لي شعور
هل أنا اليوم أنا منذ ليال وشهور
أم أنا عند غروب الشمس غيري في البكور
كلما سألت نفسي جاوبتني:
لست أدري !

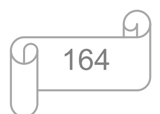
رب قبيح عند زيد هو حسنُ عند بكر
فهما ضدان فيه وهو وهم عند عمرو
فمن الصادق فما يدعيه ، ليت شعري
ولمـــــاذا ليس للحسن قياس؟
لست أدري !
أنا لا أذكر شيئا من حياتي الماضيه
أنا لا أعرف شيئا من حياتي الأتيه
لي ذات غير اني لست أدري ماهيه
فمتى تعرف ذاتي كنة ذاتي ؟
لست أدري !

يا صديقي لا يمكنك أن تقف حائلا بيني وبين التواصل مع الخالق ومن أعطاك هذا الحق ؟ ومن أعطاك الحق لتحكم على عقلي بالمحدودية مرة وبالجهل مرة اخرى ؟ ومن أعطاك الحق في ان تحكم على عقل غيرك بالقصور لأنه لا يفكر مثلك ؟ كل شيء نسبي يا صديقي وعيون الناس ليست عينك وعقولها ليست عقلك وقلوبها ليست قلبك وأحكامها ليست أحكامك . لا يوجد حقيقة يجمع عليها كل بني البشر ألا حقيقة الحياة وكل ما فيها من خير وشر وحقيقة الموت وكل ما فيه من ألم وغموض وكل ما عدا ذلك حقائق نسبية . نعم هي مطلقة في عقول معتنقيها لكنها معدومة في عقول اخرين والمحصلة النهائية أنها نسبية . أذا كنت تعتقد أنك تملك الحقيقة الكاملة فتأكد انك تمتلكها فعلا لكن غيرك غير ملزم بها فهي حقيقتك أنت . الانسان يفترض أن يكون حر

الأرادة في التفكير وفي التوصل الى نتائج . تأكد يا صديقي ان الحقيقة التي أمتلكها والتي لا تروق لك تتربع في كياني وتشعرني بالأطمئنان وبالقرب من الله. لكنها تخصني وحدي ولا أتمنى ان يكون غيري مثلي فكل أنسان له خياراته الخاصة ولا أعطي الحق لنفسي ان أرى من هو مختلف عني بانه جاهل .

يا صديقي أنت وذلك الملحد الذي يستخف بعقلي لاني أؤمن بوجود خالق تنتميان لنفس المدرسة (الاستعلاء على الاخر) . انا انا وأنت أنت وهو هو . لا يمكن لأي منا سلب الحقيقة التي يؤمن بها الاخر . يا صديقي لا تملك القدرة على التدخل بين الانسان وخالقه فهذه علاقة مكتومة متربعة في القلب والعقل وأجمل لحظات التواصل مع الله هي تلك اللحظات التي نحاول فيها فهم لغز الحياة ولغز الموت . علاقتي بالله هي تأملاتي لكل الغرابة والغموض في هذا الوجود . الصدف البسيطة التي تحدث بجزء من الثانية لتغير لوحة من لوحات الحياة هي صورة من صور علاقتي مع الخالق . علاقتي مع الخالق ليس لها حدود . أحيلك يا صديقي الى الحلاج الصوفي حين يقول مناجيا ربه :

رَأَيـتُ رَبّـي بِـعَينِ قَلبي فَـقُلتُ مَـن أَنتَ قالَ أَنتَ
فَـلَيسَ لِـلأَينِ مِـنكَ أَيـنٌ وَلَـيسَ أَيـنٌ بِـحَيثُ أَنتَ
أَنـتَ الَّـذي حُزتَ كُلَّ أَينٍ بِـنَحوِ لا أَيـن ثـم أَنـتَ
فَفي فَـنائي فَـنا فَـنائي وَفـي فَـنائي وُجِدتَ أَنتَ

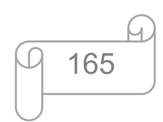


فِي مَحو اِسمي وَرَسمِ جِسمي سَـأَلتُ عَـني فَـقُلتُ أَنتَ
أَنـتَ حَـياتي وَسِـرُّ قَلبي فَـحَيثُما كُـنتُ كُـنتَ أَنتَ

ومن جانب اخر يا صديقي أنا انتمي لمنطق النبي موسى الذي لم يستطع مع القتل الغير مبرر صبرا . لكن الفرق الجوهري هو أن النبي موسى شاهد الوحي وكلمه وانا قرأت عنه وسمعت به فقط . من حق النبي موسى أن يستنكر قتل الخضر لغلام صغير السن دون سبب . وأنا أنتمي لهذا المنطق وتستنكر نفسي كل ألم عبثي وليس من حقك أن تنظر لي نظرة العالم للجاهل فرد فعلي تجاه الشر في هذا العالم هو نفس رد فعل النبي موسى . هو رد فعل طبيعي . لكن الفرق أن النبي موسى يتعامل مع الوحي بشكل مباشر وأنا سمعت به وقرأت عنه .

أنا اؤمن بنبوة الانبياء وأؤمن بحدوث معجزات (ظواهر خارقة للعادة) لكن متبنياتي ليست الحقيقة الوحيدة في هذا العالم .

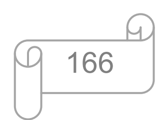
يا صديقي أمر طبيعي أن ينقسم الناس الى مصدقين وغير مصدقين بدعوة الانبياء فالموضوع بكل بساطة أن هناك رجل بسيط من نفس مجتمعهم قال لهم ان هناك أله وهناك وحي مرسل من هذا الأله يحدثه ويطلب منه أن يدعو الناس الى الايمان بالله . بكل بساطة هناك من يصدق وهناك من لا يصدق . أعلم أنك ستقول أن هناك معجزات جاء بها الانبياء تثبت دعواهم . كلامك صحيح ومنطقي لكنه يشمل من شاهدوا المعجزات بأعينهم اما من



وصلتهم روايات تتحدث عن حدوث معجزات فهم لم يروها بأعينهم ومن حقهم تصديقها أو عدم تصديقها بل من المنطقي أن يختلف حول حدوثها البشر.

يا صديقي كثيرا ما تتحدث عن حلمك في يقوم رجال يمثلون الله في الأرض بحكم الناس بأسم السماء ويفرضون الدين على الناس فرضا . أنا انزه الله عن البشر وأنت تريد أن تنصب بشر يسلب أرادة الناس بأسم الله . هل رأيت الفرق الشاسع بيني وبينك ؟؟؟ أنا أؤمن بان الدين هو علاقة تواصل مع الله وأجمل ما فيه هو أن يكون خيار شخصي وأنت تريد أن يكره الناس على الألتزام بالدين . انا أدافع عن حقك في ممارسة عباداتك بل قضيتي في الحياة هي حرية الناس في ممارسة شعائرهم الدينية أو أي نشاط اخر طالما أنه لا يمتد الى خيارات الاخرين الشخصية ولا يؤثر عليهم وأنت تتمنى أن تسلب أرادة الاخرين الذين أعطاهم الله الحق والخيار في الألتزام أو عدم الالتزام ضمن حدودهم الشخصية (لا أكراه في الدين) . هل رأيت الفرق بين من ينزه الله عن البشر وبين من يريد تنصيب بشر محاط بهالة من القدسية يتحدث باسم الله دون وجه حق ؟؟؟

يا صديقي يجب ان تعلم أن الحقيقة التي تملكها ليست الحقيقة الوحيدة في هذا العالم فهناك حقائق أخرى وهي ساكنة في قلوب وعقول معتنقيها تماما كسكون الحقيقة التي تؤمن بها في قلبك وعقلك . وأرجو أن لا تضحك على عقلي بأدعائك انك تبحث عن



الحقيقة وتطلع على جميع الحقائق لتختار اصحها . مع احترامي لك هذا كلام بعيد عن الواقع . فأنت لا تتمالك نفسك حين أختلف معك في أبسط الامور وتتهمني بضيق الأفق والجهل وعدم الأطلاع . لا أريدك أن تقتنع بأفكاري ولا أريدك أن تقول اني على حق . اريدك بكل بساطة ان تحترم عقلي وتفهم أن هناك حقائق أخرى قد تختلف عن الحقيقة التي تمتلكها قليلا أو كثير وقد تناقضها تماما ومن حقك أن تجد كل الحقائق الأخرى غير صحيحة وباطلة لكن عليك ان تتفهم معتنقيها وتتعايش معهم أذا أردت أن يتفهمك الاخرين ويتعايشون معك .

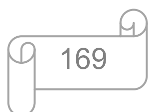
-18-

وجهة نظر الخروف

أنه اليوم الموعود ، والساعة المرتقبة قد حلت . لم يبقى حيوان في الغابة الا وحضر في ساحة الاجتماعات ليشاهد حكم الأسد على الخروف . أنها الساعة التي طال أنتظارها . وقف الجميع صامتين مترقبين خروج الاسد ومعه لجنة الحكماء ليعلنوا الكحم النهائي على الخروف . خرج الأسد يمشي بخطوات ثابتة ومعه اللجنة المتكونة من الحمار والثعلب والببغاء والأفعى .

الأسد خطيبا : أيها الحيوانات السعيدة . يا رعايا غابتي العظيمة . أجتمع بكم اليوم لموضوع خطير . كنا نناقشه انا ولجنة الحكماء . موضوع لم يسبق له مثيل قط . ورثت هذه الغابة أبا عن جد ولم أسمع من أبائي سابقة خطيرة كهذه . ايها القوم . أعلموا أن لنا أله حكيم . لم يخلق شيء عبث ولا يفعل شيء الا بحكمة . وأعلموا أن الله أنعم علينا بنعم كثيرة . وأعلموا ان نعم الله لا تعد ولا تحصى . ويكفي ان تنظر حولك لتشاهد عظمة الله بأحاسيسك ومشاعرك قبل عينك . كل يوم أجلس في عريني أداعب أشبالي والاعبهم . وأنتظر حضور لبوتي حاملة على كتفها صيدا وفير . لنتقاسمه معا بسعادة ونصلي ونسبح تقربا الى الله على هذه النعمة الوفيرة . وكل لحظة أتلمس فيها قوة مخالبي وصحة بدني أسجد لله على هذا الكرم السماوي . لم اجد لحد الان من يتجرا على مواجهتي والتقرب من عريني ومهاجمتي أو مهاجمة أبنائي . أليس هذا دليل جلي وواضح لا يمكن المجادلة فيه على وجود الله وقدرته وكرمه وحفظه لنا ؟ أيها الحمار هل توافقني الرأي ام لك رأي اخر؟

الحمار : وكيف لي أن أرى راي اخر بعد رايك فحتى لو بدر منك راي خاطأ وحاشاك من ذلك فهو افضل من رأيي الصائب . أؤيدك في كل كلمة نطقتها وكل حرف قلته وأعو الله ان يحفظك لنا عقلا مدبرا لتنير لنا دربنا . وكل مرة أشاهدك فيها أشعر بقدرة الله وعظمته . وأصلي له كي يحفظك من كل سوء .



الاسد : ايها الثعلب هل رايك موافق لراي الحمار ام أن لك رأي اخر ؟

الثعلب : يا سيدي ... أسمح لي ان أتحدث عن ما في قلبي بكل صدق ... انا ارى أن الله خلقك ملكا ذو قدرة ومكانة عالية . وخلق لك مساعدين يرفعون الهم عن كاهلك ويوضحون لك مبهمات الأمور... وكل صباح انهض فيه من فراشي أدعو ان يمكنك الله من اعدائك ويمكننا من أن نكشف لك كل خائن مدسوس يدبر لك سوء .

الأسد : أيها الببغاء اراك تبحلق وكأن في قلبك شيء ؟

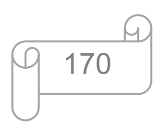
الببغاء : كل ريشة في جسدي فداء لك يا زعيم . أعلم يا زعيمنا أننا مستعدين للموت من أجل الدفاع عن الغابة وزعيمها واهلها . سنموت لاخر ببغاء لأجلك ولأجل ما تؤمن به . ونحن رهن اشارتك .

الاسد : من الجدير أن نسمع رأي ذراعنا الأيمن الأفعى ؟

الافعى : يا جلالة الملك . أعلم أن الله قد وهبني سما قاتلا لا ينجو منه الا من يريد الله أن ينجيه . وقد وهبت سمي للنيل من أعداء الله واعدائك . وأدعو الله أن يمكنني من تحقيق غايتي على أكمل وجه .

الاسد : الان وقد أدلت لجنة الحكماء برأيها حانت لحظة الحقيقة وساكشف لكم سر هذا الخروف الملعون ... أيها الذئاب أحضروا الخروف ... (خرج اربعة ذئاب من جحر قريب من مكان الاجتماع ومعهم خروف نحيل أحد قرنيه مكسور ويبدو على وجهه الجوع والخوف .

الاسد : يا ابناء الغابة العظيمة ... تعرفون جميعا أن ليس في غابتنا



خراف وتعرفون جميعا أن هذا الخروف جاء لغابتنا قبل شهر وقد كان مذعورا خائفا . وقمنا معه بواجب الضيافة واويناه واطعمناه من حشائشها وأعشابها ما لذ له وطاب . لكن مع شديد الاسف تبين لنا من مصادرنا الخاصة ان هذا الخروف . يروج لفكرة أن الحياة عبث وليس لها قيمة وأن فكرة وجود أله يحمينا ويرزقنا فكرة قابلة للنقاش . أتقبلون ذلك ؟ أتقبلون أن يشكك احدهم بخالقكم وخالق ملككم ؟ اتقبلون أن يشكك أحد بمقدساتكم ؟ أتقبلون ان يشكك احد بمن يرزقكم ؟

جميع الحيوانات بصوت واحد وقد ضجوا بالبكاء : والله لا نقبل ليشل الله لسان الخروف . لعنة الله على الخروف . لعنة الله على الخروف

الاسد : ساترك الحكم على الخروف لكم .

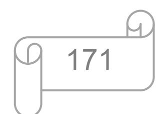
الحيوانات كلا منهم يدلي برايه : أقتله ... أدخل مخلبك في فمه وأخرجه من دبره ... دع الأفعى تسمه ... لنظربه على راسه بمناقيرنا حتى الموت ... لناكله مجتمعين ونتخلص من لعنته .... ألخ

الحمامة : يا جلالة الملك ... أتسمح لي براي ؟

الاسد وعلى مضض : تفضلي .

الحمامة : نتأمل منك العدل والانصاف ... أليس جدير بك أن تسمح للخروف أن يدافع عن نفسه ونحكم بعدها ليكون حكمنا أكثر أنصافا ؟

الاسد ويبدو عليه الحرج والامتعاض معا : ساتفضل على الخروف



ليقول كلماته الاخيرة قبل ان ننفذ حكم الشعب فيه . أيها الخائن الكافر الملحد قل اخر كلماتك .

الخروف بعد لحظات صمت تعبر عن الحزن واللامبالاة معا : ايها الاسد ... يا من نصبت نفسك ملكا على هذه الغابة ... ما دام أنها كلماتي الأخيرة ... وما دمت ميت لا محالة ... أعطني الفرصة كاملة لاقول كل ما عندي .

قبل زمنا طويل كنا نعيش انا وعشيرتي في صحراء بعيدة وكنا نستوطن في اكبر واحاتها ونأكل من حشائشها ونشرب من مائها . وكانت حياتنا جميلة ملؤها السعادة . في أحدى السنين أصاب واحتنا الجفاف وبدأ العطش يفتك بنا واحدا تلو الاخر . وكان لنا جد عجوز طاعن في السن . قال لنا (يا ابنائي أدعو الله أن ينقذنا من هذه الشدة فكل عسر بعده يسر . وكل شدة بعدها فرج) فدعونا الله ليل نهار أن يخرجنا من هذه المهلكة . وكل يوم يمر كان عددنا يتناقص من أثر الجوع والعطش .

بقي منا على قيد الحياة عشرين خروفا . وفي صباح احد الأيام شاهدنا شخصا يمشي نحونا وفي يده عصا . لكن هذا الشخص لم يكن لديه صوف وكان يمشي على رجليه فقط . حين اقترب منا عاملنا بلطف كبير وسقانا ماء واطعمنا من متاعه . واخذنا معه الى مكان بعيد يسكنه الكثيرين مثله . وأسكننا في أرض خضراء مليئة بالعشب وما لذ وطاب . وأنقذنا من الموت . فقال لنا جدي :(الم اقل لكم ان الله سينقذنا من شدتنا ويخلصنا من الموت والهلاك ؟) فقلنا له يا جدي من هذا الشخص ولماذا أخذنا معه ولماذا يساعدنا ؟ فقال جدي : (ان هذا الشخص ملاك من السماء بعثه الله ليساعدنا بعد أن وصله دعاؤنا وتسبيحنا وهذه الأرض هي جنة الله التي تحوي كل ما تتمناه نفسك من حشائش ومياه وارض واسعة)

بعد فترة من الزمن تحولنا الى أكباش وزاد وزننا الى درجة كبيرة لا تصدق وصار أحدنا لا يقوى على الحركة . وفي يوم ما كنت أتمشى قرب المرعى فشاهدت منظر غريب لفت انتباهي . كان ابناء هذه القرية مجتمعين ويعدون لشيء ما . وكان بيد أحدهم أدوات كأنها مخالب كبيرة حادة . ذهبت مسرعا الى جدي وقلت له ما شاهدته وأخبرته بقلقي وعدم أرتياحي . فقال لي : (لا تدع الشك يدخل الى قلبك نحن مع ملائكة الله وأحبائه ولا تجعل الشيطان يوسوس في قلبك)

وفي تلك الاثناء اقترب الرجل الذي جاء بنا الى هذا المرعى من جدي ومسح على ظهره بمحبة وعفوية فقال لي جدي بصوت عالي :(ألم اقل لك أن هؤلاء ملائكة) وفي تلك اللحظة اخرج الرجل اداة الذبح من خلف ظهره وذبح جدي دون رحمة فاصابني الذعر على ما شاهدت . وفي تلك الاثناء نظرت الى وجه جدي وهو يذبح فوجدت الدموع تسقط على وجهه وفارق الحياة . ثم أستمرت المجزرة وذبحوا عائلتي واحدا تلو الاخر أمام عيني (امي ابي أخواني أبناء عمومتي)

وحين وصل الدور لي فكرت ولأول مرة ان أستخدم قروني في شيء غير مقاتلة خروف اخر . فكرت أن اغرس قرني فيه وفعلت ذلك فعلا وأنكسر أحد قروني في فخذه وهربت لا الوي على شيء ووصلت أخيرا الى غابتكم .

أذا كنت ترى انك ولدت ملكا وابن ملك ومنعما بنعم الله فهذا لا يعني أن الجميع منعمين مثلك . أذا كنت تشعر بالقدرة التي تجعلك تشعر أن الله ميزك وأكرمك فهذا لا يعني ان الكل مميزين . أذا كنت ترى أن كل شيء في الحياة جميل وخلق لغاية ما وحكمة ما فغيرك ليس ملزم أن يشعر بما تشعر به .

أنت تشكر الله بعد كل وجبة طعام تجلبها لك لبوتك لكن لم تفكر في مقدار الألم الذي شعرت به الغزالة حين أصطادتها . لديك القدرة على اصطياد فريسة . ولي قدرة على افتراس عشبة . ولدت في هذه الحياة لاجد نفسي خروف ياكله الصقر ويلقي به من اعلى الجبل .

وحين عرفت الانسان أكتشفت ان اهلي ذبحوا جميعا في يوم العيد . وشاهدت بعيني اطفال صغار يضعون يدهم في دماء أهلي ويطبعونها على الحائط . ماهي الحكمة من وجودي وانا أملك هذا الكم الهائل من الاحساس بالالم الذي يقابله كم هائل من الاحساس بالفرح في قلب ذبيحي ؟ هل تقبل أن يكون الغاية من وجودك في هذه الحياة هو الشعور بالألم . هل تعلم أن ابناء جنسي المتواجدين مع الأنسان لا يموت منهم أحد موت طبيعي بمرض او كبر سن ؟ كلهم يموتون مذبوحين الأ ما ندر . البقاء للأقوى . البقاء للاذكى . أذا كنت قوي ولا يستطيع الانسان أن يدجنك ويذبحك فلا يعني هذا أن الحياة جميلة . انت في مامن منهم لانك قوي .

ساقول لك سر قد يغضبك . هل تعلم ان الانسان ياخذ بعض أبنائكم ويربيهم ليضحكون عليهم في السيرك ؟ أنتم في الواقع بالنسبة لهم برنامج للضحك والتسلية . صدقني البقاء للاذكى والاقوى . حين اجد أن كل بني جنسي يموتون ذبحا وبطريقة مفجعة لماذا يجب ان اؤمن بنظرية (هناك حكمة من وجودي) . أقولها بصراحة يا أبناء هذه الغابة : (لاجد الحياة ألا عبث وقوي ياكل ضعيف) لو كان للخراف قوة وذكاء لكانوا الان ملوك الغابة واسيادها ولما تجراتم على مواجهتهم .

هذا الببغاء الابله الذي مجد بك وتملق لك ينام يوميا واقفا على قدم واحدة وهو يملك قدمين ولا يعلم لماذا . وهذا الثعلب أرادك أن تشعر بانك تحتاجه كما أنه يحتاجك بطريقة مبطنة وغير مباشرة وأشار في مضمون كلامه الى أنه هو من وشى بي عندك لتشعر بالامتنان . اما

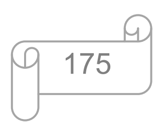
الحمار فقد كان صادقا في قوله كما أن جدي كان صادقا في قوله . والافعى ارادت ان تشعرك بقوتها وقدرتها كي لا تغدر بها . كل شيء متعلق بالقوة والذكاء . هل تستطيع ان تجيبني لماذا انا موجود في هذه الحياة وأعاني يوميا من فقدان أحبتي بطريقة مفجعة ومؤلمة الى أقصى درجات الالم . أذا كانت حياتك بهيجة وسعيدة وفيها مقدار كبير من الامان لا يعني ان الجميع يعيشون مثلك . حين تحكم على جوهر هذه الحياة من خلال نظرة واسعة لا تكون انت محورها سيكون تقييمك منصفا وعادلا . اما حين تتمتع بقواك وتتفرج على ما يصيب غيرك بسبب ضعفه . فلعمري انك قمة الظلم والاجحاف. عليكم يا أبناء الغابة أن تتفهموا الاخر وتتقبلون رايه حتى لو كان مخالف لارائكم لانه مبني على معطيات تختلف عن معطيات حياتكم . كما اني اتفهم شعوركم واحترم رايكم . عليكم أن تحترموا رايي الذي قد يختلف عن رايكم قليلا أو كثيرا وهو نتاج تجاربي وتاملاتي . ومبني عليها .

الاسد : كل هذا الكلام باطل والقصد منه هو تشويه سمعة الغابة و النيل من عزة ملكها . وثبت لي الى درجة لا تقبل الشك انك مدسوس . أجبني على هذا السؤال . هل تؤمن بوجود الله أم لا ؟

الخروف ضاحكا بصوت عالي برزت فيه جميع أسنانه : المشكلة ليست عدم وجود أله لهذه الغابة . المشكلة هي لو كان هناك أله لهذه الغابة مع كل هذا الشعوربالألم الذي يصيب الكائنات سواء كان ألم تسببه الظواهر الطبيعية او الم تسببه الكائنات لبعضها البعض . وهنا تكمن العلة .

الأسد : سؤالي محدد وواضح لا تتهرب . هل تؤمن بوجود أله لهذه الغابة أم لا ؟

الخروف : ماااااااع ... ماااااااع . ماااااااع



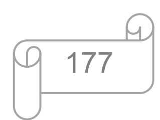
-18-

من يعذب الحيوان في صغره قد يقتل الانسان في كبره

في مجتمعنا حين تتحدث عن تعاطفك مع حيوان يعاني ستجد من يهز يده أزدراءا ويقول الجملة الشهيرة (أحنة بيااااا حال هو البشر محد بحالة) . كلا يا حباب من يتعاطف مع الحيوان هو في الغالب يتعاطف بشدة بالغة مع الانسان . من له حس مرهف في الاحساس بالمعاناة حتى لو كانت في جسد حيوان سيتعاطف بكل جوارحه مع الانسان . والعكس قد يكون صحيح فمن له قسوة قلب مع الحيوان ولا يهتم لمعاناته ويعامله بقسوة بالغة قد لا يهتم لمعاناة الانسان .

الحديث في موضوع حقوق الحيوان يعتبر من أحاديث الترف والبطر . فنحن نعيش في مجتمعات ليس للانسان فيها حقوق وترفع شعار (البي زود يعبي السكلة ركي) . بالضبط نفس قانون الغاب (القوي ياكل الضعيف) . من الامور الملفتة للنظر أن حب الحيوانات يولد مع الانسان فمن يحب الحيوانات وهو صغير سيبقى كذلك الى اخر عمره ومن يبغضها ويؤذيها وهو صغير قد تتعزز لديه هذه الحالة و يتطور لديه الامر ويتحول الى مجرم .

قبل فترة وجد أحد الاطفال طير مصاب وساقط على الارض فأمسكه بيده وقطع راسه باسنانه . ماذا عن الحفلات الجماعية للاطفال في تعذيب القطط والكلاب . كانت تحدث بكثرة حين كنا صغار وأنا متيقن أن نسبة كبيرة من هؤلاء تحولوا من معذبين للكلاب والقطط الى مجاهدين أطبطال يقتلون الناس على الظن



والشبهة . هوية الانسان ذو الميول الاجرامية تظهر في هذه الامور التي يفعلها في صغره وهي مؤشر خطير يجب الالتفات له ومعالجته ويجب اشعار الطفل بفداحة ما يفعل وبأن الحيوان يشعر بالألم والمعاناة بالضبط كالانسان . لكن السؤال هو هل الكبير أصلا يفهم حقيقة أن الحيوان لديه مشاعر ويشعر بالألم كالأنسان ليفهم الصغير هذه الحقيقة ؟ الواقع أن الكثير من الاباء لا يعلمون أصلا أن الحيوان يشعر بالجوع أو بالعطش او بالألم . قبل فترة كان أحد الصبية الطيبين يطعم قطة قرب دار عبادة فتوقف أحد المصلين ونظر اليه وبعد (صفنة طويلة) قال (عمو أنت تصلي؟) فقال له الصبي (نعم عمو أصلي الحمد لله) فقال له (عمو أنت هسة نجس من فوك ليجوة)ثم ذهب ليلاقي ربه بقلب سليم . هو لا يعلم طبعا ان القط غير محكوم بالنجاسة حسب الفقه الاسلامي ولا يعلم أن هناك احاديث للرسول محمد تشجع على أطعام الحيوانات . لكنه نشا و تربى على أحتقار الحيوانات وتحقيرها لذلك يشعر بداخله أن كل الحيوانات نجسة .

رقة القلب شيء يولد مع الانسان ومن الصعب أن يكتسبه من خلال التربية أو الدين أو غيرها . من يملك قلب لئيم حتى السلوكيات الحسنة التي يرغب بها الدين لا يلتفت لها ولا يهتم لأمرها كأطعام الحيوان الجائع . ومن يملك قلب رقيق حتى الأمور القاسية التي يحللها الدين لا يتقبلها كذبح الحيوان لأكله .

قسوة القلب واللئم لا تتعلق بالدين أو انعدام الدين فمثالنا عن الطفل ذو الثلاث أعوام الذي قطع رأس الطير باسنانه خير دليل فهذا الطفل لا يعرف شيء عن الدين لكنه قمة القسوة وفي نفس الوقت هناك متدينين ويهتمون جدا في تحري الحلال والحرام في ابسط الامور لكنهم لا يكترثون عند ضرب الدواب على ظهورها بقسوة وعنف قل نظيرهما .

لماذا لا نخدر الحيوانات قبل ذبحها؟

قبل فترة كنا في نقاش حول ذبح الحيوانات لأكلها ومدى أنسانية هذا الفعل . فقلت لأحدهم لو كانت الدجاجة بحجم برج أيفل لأصبح الأنسان طعامها المفضل . الموضوع يتعلق بالمثل الذي يعشقه أبناء شعبنا (البي زود يعبي السكلة ركي) . واستمرارنا بالحياة يتعلق بموت اخرين أقل قوة منا . فقال لي احدهم . أراك تشفق على الحيوانات وتتفلسف علينا وأنت تأكل اللحوم هل تخدعنا ام تخدع نفسك ؟؟؟ فعلا انا لم أتمكن من ترك أكل اللحوم أكثر من شهر ويا ليتني كنت أملك أرادة المفكر الانساني هادي العلوي الذي أختار ان لا ياكل اللحوم بارادته تعاطفا منه مع شعورها بالألم .

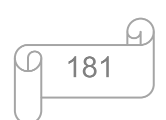
أذا كنا لا نستطيع ترك أكل لحوم الحيوانات لماذا لا نبحث عن طريقة أقل قسوة في قتلها ؟ لماذا لا يخدر الحيوان قبل ذبحه ؟ والنتيجة انه لن يشعر ألا بوغزة الأبرة . ما هي المشكلة في ان نقلل الألم الذي يتعرض له الحيوان من حده الاعلى (الشعور بألم الذبح)الى حده الادنى (الشعور بوغزة الأبرة) ؟ طرحت هذه الفكرة قبل سنوات سيدة هولندية تدعى ماريان ثييم مهتمة في الدفاع عن حقوق الحيوان لتقليل الألم عن الحيوان ورفع المعاناة عنه .

كم هو امر مضحك في نظر الكثيرين ان يتحدث احدهم عن حقوق الحيوان في مجتمع يفجر فيه الأنسان نفسه على مجموعة من الناس لأسباب فكرية عقائدية . كم هو أمر مثير للسخرية ان يتحدث احدهم عن تقليل معاناة الحيوان في مجتمع يذبح فيه الانسان أخيه الانسان لأسباب طائفية . كم هو امر سخيف أن يتحدث احدهم عن التعاطف مع الحيوان في مجتمع يصنع مجازر بشرية بسبب مباراة كرة قدم .

الحقيقة التي أستنتجها علماء النفس وعلماء الاجتماع تقول ان العنف مع الحيوانات في الصغر قد يؤدي الى عنف مع البشر في الكبر أذا كانت البيئة والظروف مناسبة لتنامي هذه الميول .

-19-

كم اكره صوت الكناري



كم هو جميل صوت الكناري وكم هو عذب لكن ماذا يقول ؟ وماذا يريد ؟ أنه يصرخ بصوت عالي يطلب شريكة حياته . أنه يعاني من الوحدة . أنه يبكي ويتالم من الوحشة . أنه كائن بائس يصرخ من شدة الألم . يصرخ ثم يصرخ ثم يصرخ . (تعالي يا حبيبتي فقد طالت وحدتي و لم اعد أحتمل غربتي ... تعالي وأجلسي قربي وداعبيني وأشعريني بالحنان لأشعرك بالأمان) لكنه صراخ يشبه كابوس لا ينتهي . صراخ وصراخ وما من جواب . كابوس أبدي كانت له بداية وليس له نهاية . لماذا ؟؟؟ لأن هناك كائن يدعي الرقي أسمه الأنسان يتمتع بسماع صرخات الكناري ونداءاته اللانهائية . لان هناك كائن يتبجح بتسمية المشاعر الجميلة باسمه ويسميها (المشاعر الانسانية) لكنه لا يعلم ماهية هذه المشاعر . لو كان الكناري يعلم أن سبب مكوثه وحيدا بائسا هو اعجاب الانسان بصرخاته الحزينة لسكت الى الابد . لكنه قانون الغاب (القوي ياكل الضعيف) . تعسا للأنسان كم هو اناني وكم هو منحدر أخلاقيا من حيث يدري ومن حيث لا يدري . الأنحدار الاخلاقي يظهر حين يكون احدهم متفوق عقليا على غيره ويتمكن من تحقيق كل رغباته ويدعي أن كل ما يفعله جيد ومبرر .

ليس للعصافير قدرة على كتابة تاريخهم وليس للعصافير قدرة على تدوين معاناتهم لكن هناك من البشر من لهم أرواح طيور بريئة نقية . هناك من البشر من يملك روحا طيبة طاهرة تابى أن

تقول (عصفورا في اليد خير من عشرة على الشجرة) وتقول بصوت متفرد تجسده الاديبة غادة السمان :

لا تصدقوا أيها العشاق الصغار
الذين لم تتشوهوا بعد
لا تصدقوا أن عصفورا في اليد
خير من عشرة على الشجرة !
بملء حنجرة أعماقي أقول لكم :
عصفور على الشجرة
خير من عشرة في اليد
فالعصفور على الشجرة هو البداية
هو دعوة للركض على قوس قزح
وانطلاقة فوق فرس بري
إلى عوالم حقيقة الذات
والعصفور في اليد هو كلمة " الخاتمة "
هو قفل في باب الخيال والهواجس
وقالب معد سلفا لسجن كل ما هو نبيل وفريد فينا !